الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف–المسيلة –

كلية الآدب واللغات

قسم اللغة والأدب

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: ط1: 1635103021

رقم التسجيل: ط2: 1635102972

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص أدب حديث

بعنوان:

أزمة المثقف العربي في روايات "صنع الله إبراهيم".

من إعداد الطالبتين:

– شيماء عطوي

– توميات الكاملة

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	**د. خضرة شتوح**	**أستاذ محاضر"أ"**	**المسيلة**	**رئيسا**
2	**د.أسماء غجاتي**	**أستاذ محاضر "أ"**	**المسيلة**	**مشرفا ومقررا**
3	**د. نورة قطوش**	**أستاذ محاضر "أ"**	**المسيلة**	**ممتحنا**

السنة الجامعية: **1441-1442هـ /2020-2021م**

إهـداء

-بعد الشكر والثناء للواحد الاحد جل وعلا الحمد لله بفضله العظيم العزيز القدير ذو الرحمة الواسعة، الذي وفقني لإنجاز هذا العمل والصلاة والسلام

على أشرف المرسلين سيدنا محمد عليه ازكى الصلاة والسلام.

- وعليه من هذا المنبر اوجه اهدائي الى:

- إلى سبب هذا النجاح الذي في الحياة، مصدرقوتي، فخريوعزوتي، الذي دفعني الى طريق النجاح مهما طالت عبارات الشكر لا تكفي للتعبير

عن امتناني والدي الغالي حفظه الله لي واطال في عمره.

- إلى اعز الناس وأقربهم الى قلبي الى والدتي العزيزة الى من كان دعائها المبارك عظيم الاثر في تسيير كل اموري، امي نبض قلبي حفظك الله.

- إلى دعائمي في الحياة في الحياة اخواتي الغاليات ادام الله نعمه عليكن، الى اخي المدلل وفقك الله في حياتك يا رب.

- إلى عائلتي الكبيرة دون استثناء شكرا لكم لدعمكم دعائكم، الى كل تلكالبراعم الصغيرة ادام الله ضحكتكم، الى الصغير "اياد محمد" كبرت في طاعة الرحمن.

- إلى رفيقاتي مؤنساتي وفقكن الله جميعا دون استثناء.

- إلى غاليتي ورفيقتي وشريكتي منذ الصغر "الكاملة"ادام الله محبتنا.

- إلى كل من لم يكتبهم قلمي وذكرهم قلبي شكرا لوجودكم في حياتي.

شيماء عطوي

إهـداء

الى والدي العزيزين.....

الى كل اخوتي الأحبة .....

الى كل الاهل والاقارب من العائلة.

الى اساتذتي الذين علموني كثيرا، وادين لهم كل احترام وتقدير.

الى جميع الاصدقاء والزملاء في الدراسة.

الى من شجعني على مواصلة الدراسة اهدي لهم ثمرة هذا العمل.

الى البراعم: آية، براءة، أدم.

تومیات الكاملة

شكر وعرفان

«رب أوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدي وان اعمل صالحا لرضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين».

الحمد لله الذي نور عقولنا بالنعم ويسر لنا سبيل العلم.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا ان نهتدي لولا أن هدانا الله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه.

شكر نرفعه إلى المولى العلي القدير الذي ألهمنا الصبر في هذا البحث.

الشكر كل الشكر للأستاذة المشرفة "غجاتي أسماء".

شكرا الى كل من ساعدنا من قريب او بعيد.

مقدمة

مقدمة:

تشهد الساحة الادبية في العالم العربي غزارة في الرواية، وتراكما كبيرا تقربه العناوين الروائية، وان المتتبع لهذا الانتاج وذلك التراكم،يدرك الحضور المتميز والاقبال الشديد على الجنس الادبي،فالرواية هي الوسيلة الانسب للتعبير عن حياتنا المعاصرة وخاصة اذا كانت هذه الاخيرة متأزمة ذات تفاصيل معقدة وغامضة.ومن هنا جاء الاهتمام بالرواية التي تعالج الأزمة،وكان من الطبيعي ان تفرض كل هذه الظروف كتابة مختلفة بوعي جديد يوحي بثراء التجربة ونضج الرؤيا لدى الروائي لما يعصف برهانه من قضايا مست المجتمع العربي واثرت بعمق في سيرورته التاريخية،حتى أصبحنا امام ظاهرة روائية تستحق مزيدا من التامل والدرس.

ومن هنا جاء منبع التصور العام لهذه الدراسة، والهاجس الذي دفعنا الى اختبار موضوع أزمة المثقف كموضوع محوري، وروايات صنع الله ابراهيم كنموذج تنعكس ازمات المثقف العربي، وذلك من خلال هذا البحث الموسوم ب:أزمة المثقف في روايات صنع الله ابراهيم.

وقد جاء هذا البحث تلبية لعدة اسباب منها: التعرف على شريحة مهمة من المجتمع الا وهي المثقف، سواءا من حيث فاعليتها في المجتمع او من خلال انها تعيش أزمة نظرا للظروف التي تحيط بها، ونعتبر هذه الاسباب اهداف في الوقت نفسه، وموضوع البحث ليس. الى جانب محاولة فهم فعاليات الخطابات الروائية والالمام قدر الامكان بوسائل دراستها، وذلك من خلال ممارسة تحليل الروايات محل الدراسة. بالجديد المطلق ولكن هناك بعض الدراسات التي تناولت موضوع أزمة المثقف عموما في الرواية العربية، وان اختلفت طريقة الطرح والتحليل نذكر:

-هدى جمال محمد: أزمة المثقف الاردني في الرواية الاردنية رسالة لنيل الماجستير.

- وفاء غالية: خطاب المثقف الانتلجنسياني في الرواية العربية بتجربة عبد الرحمن منيف الروائية كنموذجا دراسة سوسيو بنائية.

- امنة بن امهاني وريمة احمد: الخطاب الروائي في رواية اللجنة لصنع الله ابراهيم.

الاء يوسف عطا الله الطاهر الشمري: أزمةالمثقف في روايات مؤنس الرزار.

ولمجرد إتضاح الفكرة التي يعالجها البحث، اندفعتالأسئلة الى الواجهة تسأل وتستفسر وتبحث عن إجابات، تلكالأسئلة كانت مرتكزات البحث، وحاول الإجابات عنها:

- لماذا المثقف بالذات؟ اي لماذا المثقف هو المتأثر الأبرز بأثار تلك الازمات؟
- وماهي الازمات التي ينفرد بها المثقف العربي عن المثقف الاخر؟
- وما السمات التي يتميز بها صنع الله ابراهيم؟
- وما هي الاساليب والتقنيات التي وظفها الروائي صنع الله ابراهيم في خطابه الروائي ليعبر اعماق الأزمة؟
- وما هي اشكال الأزمة التي يصارعها صنع الله ابراهيم؟

-وللإجابة عن هذه الأسئلة تتبعنا المنهج الوصفي التحليلي كما استعنا ببعض الاليات الاخرى بما يناسب اهداف هذا البحث.

-وتبعا لهذه المناهج تتبعنا خطة البحث في مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة وملحق.

-خصصنا المدخل للحديث عن أزمة المثقف في العالم العربي، مع ذكر نماذج روائية التي تناولت أزمة المثقف.

-أما الفصل الاول المعنون: بملامحأزمة المثقف في روايات صنع الله ابراهيم، حيث تطرقنا فيه للحديث عن أبرزالازمات، وجاء عنوان الأزمة الاولى بإشكالية علاقة المثقف بالسلطة، أما الأزمة الثانية فعنوانها ملامح اغتراب المثقف، فالأخيرة عنونت بعلاقة الأنا بالأخر.

-أما الفصل الثاني فقد عنوناه بالسمات المميزة في روايات صنع الله ابراهيم، تطرقناأولا الى توظيف التاريخ، اضافة الى الرؤية التهكمية الساخرة، ثم تدوين الكتابة (الشخصية المثقفة)، وكذلك المراوغة السردية للزمن التاريخي، ويليها المستويات اللغوية في روايات صنع الله ابراهيم.

–ويليها الخاتمة موجزة اهم ما توصل اليه البحث من نتائج.

– ولتحقيق الفائدة أكثر وضعنا ملحق يتناول السيرة الذاتية لصنع الله ابراهيم واهم رواياته.

–واعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المراجع اهمها:

- سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية الجديدة(الوجودوالحدود).
- نبيل راغب: الادب الساخر.
- حامد عبدالهوال: السخرية في ادب المازني.
- محمد نعمان طه: السخرية في الادب العربي.
- محمد غنيمي هلال: النقد الادبيالحديث.

ولعل اهم الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث صعوبة التعامل لاستنتاج دلالات للرواية محل البحث وفك رمزيتها.

–وفي هذا المقام جاء في الحديث الشريف (من لم يشكر الناس لم يشكر الله)، لذلك لا تفوت فرصة شكرنا وإحترامنا للأستاذةالفاضلة (غجاتي اسماء) التي اشرفت على هذا البحث وتعهدته قراءة وتوجيها ومساعدة ونصح حتى استوى على ما هو عليه.

وشكرا لكل من ساعدنا في انجازه.

الحمد لله أولا واخيرا.

المدخل

1- عن أزمة المثقف العربي:

رغم أن المثقفون لا يشكلون كتلة متجانسة موحدة الأهداف والاهتمامات إلا أنهم فئة متنوعة المهام تخترقها المصالح والصراعات، إلا أن هناك شيء واخد يجمعهم وهو أنهم أكثر الناس التصاقا بالمعرفة وأكثر الناس قدرة على التعبير عن هموم البشر ومشكلهم، إضافة إلى تطلعاتهم وذلك من خلال إبداعاتهم المعرفية والفكرية. ويرى الكثير من المثقفين أن مهمتهم الوحيدة مقتصرة على القراءة والاطلاع وعلى العمل الأكاديمي الذي يستفيد منه المثقف لذاته ولا ينتفع به الناس والأمة، وهذا يعكس الشلل التام في المواجهة والتصدي والرفض ويعكس ما آلت إليه أمة بأكملها.

أو يمكن القوة هو موت بطيء للأمة نتيجة الأشكال الوحيد الذي يجب طرحه على السادة الفكرية والثقافية والسياسية وفي جميع ميادين الحياة اليومية.

هذه الأزمة جاءت نتيجة أن المثقف[1]يعيش داخل مجتمع يفقد كل متطلبات التعبير عن الرأي، إضافة إلى انعدام، الحوار والمناقشة والحريات الفردية وحرية الصحافة وما إلى ذلك من شروط ومستلزمات وضروريات الإنتاج الفكري، وهذه أخيرة (الأزمة) قد وصلت اليوم إلى أخطر مراحلها وذلك لأنها بدأت تهدد المثقف العربي في كيانه ووجوده.

فمن المؤسف حقًا أن نجد أن المثقفين العرب قد يقيلون بتوزيع ولأئهم ليعطي خلافات الأنظمة والحكام في وطنهم، وهم يمثلون كتلة الوعي الفاعل في الوطن والأمة بأكملها وهم أحد أهم مصادر قرتها تأثيرًا وتدبيرا، إذا لهم جمعوا على وحدة الموقف ووحدة الهدف والرؤية، غير اننا نرى أنهم قد ابتعوا عن هذا وانبهروا بالعقل الغربي ومنجزاته محتقرين العقل العربي وإبداعاته.

وعليه يمكن القول إن هذه الأزمة الثقافية هي أحد أسباب تأزم المجتمع في جميع الميادين وأول انعكاسات هذه الأزمة هي صيغ ثقافة المجتمع عمومًا بثقافة الطبقة المسيطرة، هذه الطبقة

[1]المثقف يعرفه " لويس فيير"، هو ذلك الشخص المتعلم والذي ينتمي بدوره إلى الطبقة الوسطى وينشغل بما تعلم، وهو في ذلك يختلف عن الدي يعمل بالصناعة والتجارة من الطبقة العليا والطبقة الدنيا.

التي تغزل خيوطها العنكبوتية الواهنة على البناء الثقافي للمجتمع لتتثبت أن ثقافتها هي ثقافة المجتمع ككل وهذا أدى إلى سلب حرية تلقي الثقافة من مشارق ومصادر مختلفة.

وهذا موت بطيء آخر تعاني منه الأمة العربية حيث لا يستطيع المثقف العربي أن يجرئ على التعبير عما بداخله ولا يستطيع أن يصنع أفكاره في خدمة المجتمع وفي خدمة المهمشين والمحرومين. والإشكال هنا التقرب من السلطة ويعني بعبارة أخرى الانسلاخ عن الجماهير أو التقرب من الواقع ومن الجماهير وهذا يعني غضب السلطة على المثقف وإسكاته وتهميشه بطرق مختلفة البعض منها معلن والآخر سري وضمني.

يعيش المثقف العربي في صراع مع السلطات الداخلية التي تقرر التجزئة والتخلف فكيف للمثقف أن يؤدي دوره الفعال ويحقق ما يرنو إليه من مجتمعات طبقية متفككة البناء وذلك نتيجة كثرة الأعباء إضافة إلى عدالة محايدة وحرية مصادرة " فإذا كنا نفتقر إلى الخبز والعدل والحرية، فمن أين تأتي الثقافة. وإذا منح المثقف حريته والحرية والتعبير وحوري في قوت يومه فعن أي ثقافة سيعبر؟ كيف يفلح رجال الثقافة في أداء دورهم إذا كانوا منشغلين في تحصيل أقوات يومهم؟[1]. فالمثقف العربي يعيش اليوم أزمة خانقة تحول دون قدرة على تحمل مسؤولياته حيال التوتر السياسي والحكام بصفة عامة بآراء وأفكار وتصرفات من شأنها أن تزرع الأمل والثقة والاطمئنان في نفسية العربي التي لم تعد تحتمل الاستسلام والصبر والصمت والرضي.

إننا بتنا نتعايش مع مثقف المأزوم زاد بعدًا عن دوره الحقيقي في المجتمع ووصل بنا الحال إلى أننا لم نعد نفرق بين مثقف الأزمة ومثقف يعيش أزمة، ويقصد بالمثقف الأزمة أي المثقف السلبي الذي يرتبط اسمه بالأزمات التي تعصف بالبلد، وهو نتاج طبيعي لو جود أزمات اجتماعية وسياسية ودينية وحتى قبلية، فالمثقف أهم ما لديه ووجب أن تتوفر فيه: الفكر والعقل والكلام

[1] جمال محمد طعان، المثقف والديمقراطية التعبيرية، الأوائل للنشر والتوزيع، حلب سوريا، ط1، 2002، ص42.

والحرف وهي أسلحة قد تكون السلطة قادرة على إخمادها وإنهائها من جهة أخري، وعليه يمكن أن نقول أن المثقف ذاته قد يكون سببا في صناعة الأزمة حيث يترك دوره الأساسي وينخرط في فعل السلطةذاتها سواء كانت سلطة سياسية أم اجتماعية.

أما المشكلة الكبرى التي تثيرها علاقة المثقف بالسياسة والسلطة في المجتمع العربي تنبع من إلغاء السلطة السياسية كعمل ونشاط عمومي وتحويلها إلى امتياز عمومي خصوصي مرتبط بالموقع المباشر من السلطة فإن لم يكن المثقف تحت كنف السلطة سيفقد أي دور له ووظيفته العمومية، وسيضطر إلى الانكفاء على مهنته الابداعية[1].

ولا تفتأ السلطة أن توجه ضغوطاتها على المثقف حتى تنتنيه عن خط سيره أو لتحول فكره ليستظل في ظلها فيظل سبيل الشعب ويستسيغ سبيل الكذب، متحول بذلك المثقف سلطوي. حيث قد يقود ضغط السلطة بالمثقف إلى العدول عن موقف صحيح.

فيتنازل عن سلطاته وفي هذه الحالة. وإذا رفض المثقف طريقة التبعية للسلطة فإنها تعتبره منافسًا لها، فتسعى إلى محاربته بكل الوسائل المتاحة لها وعلى سبيل المثال الإعلام الذي لجأت إليه السلطة من أجل جر الثقافة إلى نقل الإعلام بغية القضاء عليها. وذلك من خلال تفكير عناصر المثقف والثقافة.

فهنالك إجماع على أن المثقفين يشعرون بالسخط من الإعلام المحلي الذي لا يلي الطموح ومن الإعلام العالمي إعلام التوجيه والتسلط الذي يقوم على الثقافة المعارضة والمضادة ويريد تخريب الشعوب وإعاقة تقدمها[2]. وإن سدت طريق الإعلام في وجه طرح قضية الثقافة والمثقفين فلا تنعدم طرق الأدب ووسائله في تسريب مفاهيم ثقافية وجدانية وسلوكية في حياة القارئ ووعيه

[1] انظر :برهان غليون: تهميش المثقف ومسألة نبأ النخبة القيادية، دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 1995، ص117.

[2] جان بول سارتر: دفاع المثقف، ط1، مطابع دار العلم للملايين، بيروت لبنان، 1983، ص 31.

بما يؤثر بشكل واضح في بنائه الإيديولوجي وممارسة اليومية وتشكيل نزوع ثقافي سيكولوجي ثقافي لديه بما يحمل نتائجًا هامة لاحقا[1].

أما عن وظيفة ودور المثقف يوضح "أنطونيو غرامشي" في قوله << إن المثقفين هم أولا: منظمو الوظيفة الاقتصادية للطبقة التي يرتبطون بها عضويا، وهم ثانيا حملة ووظيفة الهيمنة التي تمارسها الطبقة السائدة في المجتمع المدني، وهم ثالثا: منظومة الإكراه الذي تمارسه الطبقة السائدة على سائر الطبقات بواسطة الدولة ذلك أن المثقفين عمومًا تخلقهم الطبقات الاجتماعية أثناء تطورها وبالتالي فإن البحث عنهم يجب أن يكون بحثا في إطار الوظيفة التي تمارسها هذه الطبقة أو تلك بحكم المكانة التي تحتلها في نمط الإنتاج>>[2].

وأما عن الأزمة التي نحن بصدد الحديث عنها والتي يعانيها المثقف العربي فهي أزمةمتشابهة لكل أزمة في أي مجال آخر، أن يكون الهدف منها محدد وواضح لكن الطريق إليه مسدود وبذلك لا تختلف أزمة المثقف في صورتها عن أزمة المحب الذي يعرف ما يريده ولكن وسائل الوصول إلى ما يريده ممتنعة عليه، فكذلك المثقف المأُزوم فهو إنسان يحمل أفكارًا واعتقد بأنها أفكار لا بد من بثها لتطوير الحياة ولكن حين هم بنشرها صدمته العوائق التي تحول دون ذلك النشر، وقد تكون تلك العوائق من صنع الآخرين في آن واحد. ولكنها كذلك قد تكون –في آن آخر–حيرة في نفسه هو ذلك إذا ما تعددت أمامه سبيل الوصول، فلا يدري ما يختار منها وماذا يدع.

فمن المفصلات التي تتحدى المثقف العربي في زماننا هو أشد تعقيدًا وأعسر حالاً من محاولة جمع طرفين يكادان يكونان متضادين في صيغة حياتية واحدة ألا وهي المحافظة على هويته التاريخية من جهة والحرص في الوقت نفسه على أن يعاصر دُنياه.

[1] مروان العلان: المثقفون والعلاقة الإنسانية، مجلة أفكار، ع 111، 1993، ص34.

[2] جاك مارك بيوتيك: فكر غراميش السياسي، نشر جورج طرابيشي، دار الطبيعية، د.ط، بيروت –لبنان، 1975، ص 18.

إن المثقف العربي على وعي كامل بما يريده في هذا المجال وهو الجمع بين هذين الطرفين جمعًا لا يداخله القلق لكنه حتى هذه الساعة لا يدري كيف؟ فهؤلاء المثقفون (أو المتعلمون) يقعون في مجموعات ثلاثة: احداها تريد تحقيق الهدف بأن تجعل ثقافتها المورثة هي معيار الصواب والخطأ، أما الفئة الثانية تريد تحقيق الهدف نفسه بأن تجعل الثقافة العربية هي معيار الصواب والخطأ، وأما الفئة الثالثة: أرادت أن تحقيق الهدف نفسه ولكن بطريقة جديدة تضمن الطرفين معا.

ولعل احد أشكال أزمة المثقف العربي هو محاولة توظيف طاقات المثقف في بوتقة الدعاية والإعلام لصالح الإعلام بالضرورة، بل تتجاوز ذلك باعتبار الثقافة أداة من أدوات الإعلام بالضرورة، بل تتجاوز ذلك باعتبار المثقف في مصممةالمثقف رسالة يتوحد بها مع الجماهير، أما الإعلام فهو جانب وظيفي ويعلو تغليب الجانب الوظيفي للثقافة في المراحل القلقة والحرجة في أوقات الأزمات الخانقة التي مني بها المجتمع العربي فَتُخَيمْ آثار هذا الجانب على الحركة الثقافية عامتًا فيتنازل المثقف عن دوره الثقافي متحولاً بذلك التاجر سلعته الثقافية يصاب بها في السراق الأزمات والمراحل العربية رمادية الفكر والتوجيه[1].

وقد تعششت الأزمة بين المثقفين فلم تعد مع الدولةأو مع المجتمع وإنما مع أفكارهم وعلاقاتهم مع ذاتهم ومع مجتمعهم، ووعيهم، الزائف لقضاياهم، ويخلقهم كمأزق توزيع ولائهم ودخولهم مناصرات الأنظمة والتبعية لها، أو دخولهم في سوق العرض والطلب الكلامية، فأصبح بعضهم يقدمون خطابات مفبركة تناسب المناخ أيّ كان ولاؤه وفكرة ثم يقدمون أنفسهم على أنهم ضحايا مجيّ بيناهم ساهموا في صناعة أزمةهم وأزمة مجتمعهم[2].

. وأزمة المثقف العربي اليوم ترسم في لوحة رسمها تداعي الأفكار والمشاريع الكبرى الوجودية والنضالية والانسياق في ركب الهذيان بالغرب فالثقافة الغربية، وتسلط السلطة وسياستها مع

[1] سلوى العمر: الرسالة الوظيفي في مهمة المثقف، مجلة أفكار، ع 143، 2000، ص160.

[2] علي حرب: أوهام النخبة أو فقه المثقف، ط 3، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، 2004، ص 47.

المثقف، ومصادرة الحريات وسط الرقابة وانقطاع تواصل المثقف مع محيطه ودوامات الغموض التي يتيه بها المثقف العربي، وقبيلة الدولة التي تضرب جذورها في صخور المجتمع العربي الصماء، والإعلام محاولة جديدة للمثقف ليسير في مداره.

2- ومضات حول أزمة المثقف في الرواية العربية:

إن أكثر الأجناس الأدبية إشاعة وقدرة على تناول أزمة المثقف العربي وقضاياه الرواية، فإطارها العام المجتمع، وثناياه قضاياه وعلاقات فرده وأحاسيسه اتجاه المجتمع وأفراده وقضاياه العامة ومبادئه[1]، وإن أفضل السبل لدراسة الثقافة هي، "استخلاصها من الشخصية لأنها تشير جمعها إلى تصرفات وأفعال ومواقف واتجاهات وميول تتكرر في السلوك أفرادها الذين يمثلونها"[2].

حيث إن الرواية العربية الحديثة تشرع بنقل أزمة المثقف العربي والتعبير عنه، وعما يوجد تحته من وطأة أزمات متلاحقة من خلال الشخصيات الروائية فإن استقراء أزمة المثقف في نماذج روائية لابد منه للوقوف على شخصيات لأنماط الثقافية في الروايات وتجليات أطروحاتهم من خلالها وذلك على وذلك على سبيل المثال لا الحصر.

وقد حضر المثقف ويحضر باستمرار في الرواية العربية منذ بداية تشكل الرواية حضورًا متعدد، وهو يختلف من رواية إلى أخرى، تبعًا لقناعات وخيارات وخبرات وتمثيلات الروائي، والصورة الغالية، التي يمكن رصدها هي الاصطدام بالآخر في المجتمع بالسلطة وبالحقيقة، وهذا الاصطدام يتباين من حالة إلى أخرى وتبعاته تختلف من نص لآخر.

وقد تعددت الاشكال تبعًا لخيارات جمالية وقناعات فكرية فكان مثلاً: التاريخ ملهمًا في تمثيل الموضوع كما في رواية " العلامة" التي استفادة فيها الروائي والشاعر المغربي "بسام حميش".

[1] محمد رجب ا لبارودي: شخصية المثقف في الرواية العربية المعاصرة، الدار التونسية للنشر، ط1، 1993، ص14.

[2] ينظر: قيس النوري: الشخصية العربية وحضاراتها الثقافية، مطبعة مكتبة الطلبة الجامعية، 2002، ص 73.

السيرة الخلدونية وأطلق لقب " العلامة" على ابن خلدون، وهو فعلا كذلك هو لقب يعبر عن الإعجاب والاندهاش، بهر فهيضوؤه الرواية يعيب **بشكل** صريح ودون أي مقدمات على المثقفين فهو يري أن المثقف الأصيل هو المثقف غير التابع للسلطة بمعنى أن على المثقف أن يكون الصوت الآخر " الذي يري الحقيقة ويجهر بما يراه.

– إن اختيار هذه الرواية وتركيزها حول شخصية ابن خلدون ومحاولة إيقاظ التجربة الخلدونية على واقع الحال الحديث في الوطن العربي هو المدهش والباعث على الاندهاش ويمكن أن تسقط أحداث الرواية على حال المثقف في العالم العربي في وقتنا الحاضر فالحال نفسه والوضع نفسه منذ عصر ابن خلدون (فساد السلطان) والأمر نفسه عند سعد الله ونوس في مسرحية "منمنمات تاريخية" من خلال استحضار المكثف لابن خلدون باعتبار نموذجا لصاحب المعرفة استيعابا وإبداعًا الذي انخرط في الشأن السياسي وعاش تقلباته.

وفي سياق آخر كاتب رواية " تجربة في العشق" "للطاهر وطار" وأيضًا "التفكك" "لرشيد بوجدرة" مثالا آخر تناول المثقف حيث تناوله **هذه** الأخيرة (التفكك) المثقف بإفراط يجعل من الغير ممكن أن نحاول هذه الفكرة وذلك من خلال شخصية " سالمة" والتي تعيش في الرواية "

بعقلية الشخصية المثقفة البرجوازية الصغيرة **المتسلسلة** الفكر بين الماضي والحاضر، بين ثورتها النفسية الداخلية وسعيها من أجل البحث عن هذه الحقيقة"[1].

وفي السنين الأخيرة تابعت الأحداث والتحولات وتهاوت المسلمات وعمت الحيرة وتكثفت المتاهات، فبدأ التحرك بخرجات دفعت بعض الروائيين إلى إعادة التمثيل والقراءة، وبالتالي حيل

[1] مخلوف عامر عامر: الرواية والتحولات في الجزائر (الدراس النقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية)، دراسة منشورات اتحاد العرب دمشق–سوريا، د، ط، د، ت، ص 46.

ما يترجم ذلك إلى نصوص نشد الاقتراب بين ويقع فكانت بعض النصوص الروائية التي سعت إلى بلورة تمثيلاتها للحيرة وتحويل رجاة الزلزال إلى درجات وخلة روائية للمسارات[1].

وقد تناولت الرواية المثقف بإفراط يجعل**من** غير ممكن أن نجد هذا الموضوع في الرواية العربية ومن المستحيل أن يجد روائيا لم يخصص البعض من رواياته ليضيء هذا الجانب (أزمة المثقف) ويمكن أن نقول أيضًا **من** النادر أن نجد كاتبا له عدة روايات ولا تظهر في إحداها على الأقل شخصية المثقف.

ونجد روايات كتبت من وجهة نظر إيدلوجية إما مديحًا لبطولة المثقف كما يبدو عند "عبد الرحمان منيف"، في معظم رواياته، أو ذم انكساره عند "حيدر حيدر" في "وليمة الأعشاب البقر" وبعضها من منظور وجودي إنساني، كما عند الطيب صالح" في موسم الهجرة إلى الشمال"، أو منظور تهكمي كما فعل الروائي "محمد الباسطي" "في ليالي أخرى" والروائي السوري "خليل صويلح" في"عنك لومي".

ونجد "نجيب محفوظ" يوضح علاقة المثقف بالسلطة من خلال روايته "اللص والكلاب" في شخصية (رؤوف علوان) نموذج المثقف الانتصاري الذي يستغل معارفه **وتربيته** العلمية من أجل تحقيق أغراضه الشخصية ومن أجل ارتقاء سلم السلطة ليس لفضحها، وليس لتعديل مساراتها، ولكن لتأكيد طغيانها ولتنظير له ولتشريع ديكتا توريتها.

لقد ظهر" رؤوف علوان" في أول مسيرته شخصية ترغب في التعلم وفي التثقيف وأظهر شغفا لحبه للمعرفة وما كان تعلقه إلا تعلق الإنسان بالرقي، هذا ما ظنه صديقه الأقرب " سعيد مهران" غير أن "رؤوف" سرعان ما أفضح عن حقيقة الشر فيه وعن حقيقة نوازعه الطغيانية، الفردانية

[1] محمد بن زيان: صورة المثقف، العربي في الرواية العربية، صحف بزايرس، نشر في النشر، 2015.

واستغلاله لمعارضه من أجل تثبيت هذه الشخصية الطاغية والتقرب بها إلى السلطة، بل وتوظيف ثقافته من أجل التشريع السلطة ولذلك كان رد "سعيد مهران" فاضحًا ثم قاسيًا ثم مدمرًا.

وهو الحال نفسه في شخصية (مصطفى سعيد) في موسم الهجرة إلى الشمال " الذي وإن انخرط في العمل مع أهالي قريته **إيان** عودته من إنجلترا لكنه كان يعيش خارج المنظومة التي حاول أن يغيرها ولم ينجح في ذلك فانتهى أمره إلى الغموض الأيدي، وهو شأن كل شقف عربي. وإن نهاية مصطفى سعيد قريبة من نهاية "أبو هريرة المسعدي" في حديث أبو هريرة قال مصير**الم**سيح المغدور، ضمن التعريفات الأولى للمثقف هو الدلا سنسمي لذلك هو يعيش فيما يشبه المنفى حتى وإن كان يعيش في داخل أصدقائه، إذأنه لا وجود لهذه الشخصية في رواية " البحث عن وليد مسعود"، إنما هو موجود كأفكار وذكريات عند أصدقائه وهذه الأفكار ليست جاهزة بل أفكار حية تفعل فعلها في حياة الأفراد.

لقد تناولت الروائيون العرب المثقف من حيث هو شخص متمرد باحث عن معنى له في الوجود ومن حيث هو عنصر فعال في ترتيب صورة للمجتمع والواقع معًا اللذان ينتمي إليها ويعيش فيها، فنجد مثلا توفيق الحكيم السهيل إدريس والطيب صالح تناولوا المثقف في علاقته بالغرب أي ذلك المثقف الذي ينفتح على واقعه المزرى والمتهالك فلا يري فيه سوى نسبة مختلفة بالنسبة للغرب المتقدم وسبب ذلك ازدراء العقل ثم تذهب هذه الشخصيات المثقفة تتذكر لتراثها وتاريخها ومجتمعاتها.

كما نجد في رواية "الرماد الذي غسل الماء" لصاحبها عز الدين الجلاوجي الذي اعتمد في التعريف بشخصيات المثقفة نظام العواشي.

وهذا الشكل نادر في الكتابات الروائية العربية عمومًا والجزائرية خصوصا فهو يقدمها بلسان السارد وبخط أسود داكن يبرز على المساحة الورقية. حيث يلفت انتباه القارئ للشخصية

المثقفة الذي ينتبه السيرة الذاتية القصيرة معتبرًا أن ما يهم المثقف هو ما يقدم من أفكار ومواقف تعكس اتجاهه الإيديولوجي ونظرته للمجتمع والسلطة وقد صور في الرواية الأزمة التي يعاني منها المثقفون في أوطانهم والمضطهدون والمقهورون لأنهم قاموا بتعرية السلطة وألاعيبها، ورفضوا واقعهم وبحثوا عن السبل الكفيلة لتخليصها أوطانها من أوكار الجهل والفساد والنهب، والتعبير عن حرية وتحقيق العدالة للاجتماعية كما صور رواد ذلك الصراع بين الطبقة الفقيرة والطبقة الغنية < فالمثقف وهو يعيش واقعًا مزريا استطاع أن يقرأ في السلطة عصب الوجود، فوقف منها موقف الاحتجاج والشديد إزاء ما يتعرض له الأفراد من ظلم وتعسف >[1]. وقد تحمل كل هذه الصعوبات والمحن وعاش اغترابا وجوديًا موحشًا في مجتمعه، ينتصر فيه الأقوياء على الطبقة الضعيفة فشخصية " فاتح وقعت في وجه السلطة وقاومها.

لقد أصبح المثقف ذلك العنصر الذي يناضل ضمن نضالات مختلفة تجعل كل أفراد المجتمع في نهوضهم المستمر ودوره الهادف إلى تحقيق أكبر قدر من الحرية والكرامة والعدالة والتوازن المجتمعي.

[1] عبد الحميد هيمة وآخرون: سطان النص، دراسات، دار المعرفة الجزائر، ط1، 2009، ص 265.

الفصل الأول

ملامح أزمة المثقف في روايات صنع الله إبراهيم

1- إشكالية علاقة المثقف بالسلطة

أ- السلطة في رواية "اللجنة"

ب- السلطة في رواية " شرف".

2- ملامح اغتراب المثقف

أ- الاغتراب الديني

ب- الاغتراب القيمي الاجتماعي

ج- الاغتراب النفسي.

3- علاقة الانا بالاخر

أ- الصراع الحضاري بين الشرق والغرب.

ب-أزمة الضياع والبحث عن الهوية.

1-إشكالية علاقة المثقف بالسلطة:

يعتبر موضوع العلاقة بين المثقف والسلطة من الموضوعات التي فرضت وجودها في الحركة الفكرية التي يشهدها عالمنا اليوم، ذلك لأن السلطة هي: "الملك والقدرة والحكم الذي تتجه إليه كل أمور الدولة"[1]. وهي بهذا لردع المخالفات في النظام العام للمجتمع، الذي هو صفة أساسية في الحياة الإنسانية لذلك تكون الحاجة ماسة إليها في كل مجتمع يصبو إلى حياة منظمة وهادفة.

وبذلك فإن علاقة المثقف بالسلطة من الجدليات التي ظهرت في الحركة التي يشهدها عالمنا اليوم، والمتتبع لمسيرة تاريخ البشرية يجد تلك العلاقة حاضرة بشكل جلي مع اختلاف في الصورة والنمط وقد دونت لنا صفحات التاريخ أسماء عديدة من الشرائح التي تتضمن العلاقة بين المثقف والسلطة كالعلماء والأمراء والولاة وأهل الثقة وأهل الخبرة وأهل الدين، ويقودنا الحديث عن السلطة والحكم إلى بداية الصراع الأول إذ تستحضر قوله تعال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2] وقوله أيضا ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[3]والناظر إلى الآيات الكريمة يجد قصة آدم عليه السلام وما فيها من استخلاف الله له في الأرض واعتراض إبليس أمر ربه حيث قال تعالي " أسجدوا لأدم" .

وعليه فإن السلطة كالعلم والفن والاقتصاد ملأزمة للإنسان على الدوام لذا وجب التحديد الدقيق لماهية السلطة التي ينبغي أن تكون سلطة شرعية بالفعل " فإذا كانت السلطة سلطة، كانت

[1] المنجد الأنجدي: دار المشرق، بيروت-لبنان، ط3، د، ت، ص559.

[2] سورة البقرة: الأية 30 -33.

[3] سورة البقرة: الآية 29.

بالفعل نفسه شرعية وانتقي إمكان وصفها بغير الشرعية، وإذا كانت غير شرعية فإنها ليست سلطة"[1].

إذ لا ينبغي أن تتناهي سلطة الحاكم مع سلطة الدولة حتى لا تتحول إلى سلطة غير شرعية فتلغي عنها بذلك صفة السلطة من الأساس، وتصبح هناك عصبة قبلية وتكثر العداوات وتسود العصبيات والمشاكل والحروب.

وعن علاقة الثقافة مع السلطة تكاد تكون معروفة لدى غالبية الناس، إذ نجد أن السلطة السياسية بشكل خاص استعانت بالمثقف في الكثير من الأمور وفي الكثير من الأحيان وذلك من أجل أن يبرز الحاكم أو السياسي أو السلطان نفوذه الشرعي أمام الجمهور وعامة الناس،

حيث إنه يدركً جيدًا أن وظيفة المثقف تقف عند المجال الثقافي والأدبي وغيرها، كما يدرك أن وظيفة تقف بعيدًا عن السلطات السياسية مع العلم بأن صاحب السلطة أعطى المثقف بعضًا من حقوقه المستحقة من الحرية وإذا كان ذلك تحت وطأة ضغوط مختلفة[2].

إن التطور الحاصل في مختلف الدراسات الإنسانية بات يفرق بين نمطين من السلطة فهناك:

- السلطة السياسية:

المعلنة والظاهرة وهي التي تحكم الدول والمجتمعات المعاصرة وتحدد النظام في أي مجتمع ما، وثانيا:

[1] ناصيف نصار: منطق السلطة، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1995، ص 14.

[2] عبد الله بلقزيز: في البدء كانت ثقافة، إفريقيا الشرق، د، ط، ص56- 57.

- السلطة السياسية المعنية أو الرمزية:

وهي الموجودة في الفنون والآداب المختلفة ووجود هذا النوع من السلطة في الأداب العربية جاء نتيجة انعكاس الواقع السياسي على الأدب ولاسيما، الرواية التي:" أدانت أساليب القهر السياسي من خلال تصويرها وإبرازها الواقع والاضطهاد والتعذيب السياسي الذي سيطر على الحياة السياسية العربية"[1] وذلك باعتبار الرواية النوع الأدبي الأوسع في مساحة السرد والأكثر تفاعلاً مع حركة الحياة المتجددة والأقرب إلى تفاصيل الواقع المعيش والأعلى تمثيلاً لشريحة معتبرة من المجتمع والأقرب رصدًا على مراقبة تأثير القرارات العليا على حال الناس.

وعليه فإن الروائيون في رواياتهم قد سعت موضوعاتهم إلى التمرد على السلطة السياسية وكشف ممارساتها وآلياتها، وقاموا بتعرية ما قد تم تغطيته من طرف السلطة السلطان يطرق جمالية وفنية قد تمس التنوع البنائي وتعدد الرواة وتوظيف التراث وإسقاطه على الوضع الراهن وتوثيق بعض الأحداث وخلف واقع موازي وذكر الصراعات، فمن يراعه الرواية وقدرتها أنها قابلة للقراءة في أزمة مختلفة وأمكنة مختلفة.

وعليه فإن في روايات صنع الله إبراهيم والتي محل البحث نجد علاقة المثقف بالسلطة وطبيعتها وأكثر عملين ظهر فيهما " شرف" و"اللجنة" أما بنسبة للرواية "أمركا نلى" و" العمامة والقبعة" فلم نلمس هذا النوع من الأزمات لذلك سنركز في الدراسة هنا على "شرف "و"اللجنة".

أ -السلطة في رواية "اللجنة":

[1] عطية أحمد: الرواية السياسية، مكتبة مدبولي، القاهرة-مصر، 1984.

بدأت رواية (اللجنة) بلهجة الاستسلام فقد جاء المترشح الذي هو بطل الرواية متنازلاً عن قيمه التي نشأ عليها، متقبلاً أي سلطة قد تعرض عليه من طرف هذه اللجنة مجهولة الهوية.

ويظهر أن علاقة المثقف بالسلطة في هذه الرواية هي علاقة صراع ولكن هذا الصراع بات محكوما عليه بالفشل وذلك لأن اللجنة تعرف المترشح (أو السارد) وكل تفاصيل حياته السابقة، فهذا ما وجدناه من خلال النظرة العدوانية التي وجهتها إليه، فهي تسعى إلى احتقاره وإذلاله بكل الطرق المتاحة لها مادية كانت أو معنوية: وتصرفت بسرعة وبراعة طمعت أن تشهد لصالحي، فعندما لم أجد ما أخدم به وسيطي، خلعت رباط رقبتي، وعقدته حول خضري فوق عظام الحوض مباشرة، حيث يتمتع الجسم بالمرونة بالغة[1]

ونجد في الرواية أيضا " تكملت إحدى السيدات وهي عجوز **وقور**. كانت تجلس في اقصى اليسار، إلى جوار رجل بدين يرتدي سترة بيضاء ويضع ساقًا على ساقًا رافعًا رأسه أعلى محدقًا في السقف كأنه ليس معنا، سألتني:

هل تعرف الرقص؟

أجبت: «أجل، بالطبع»

فتدخل الرجل القصير الغاضب قائلا:

«أرنا إذن»[2]

ونلاحظ ضمن مار الأحداث أن البطل لم يأبه للإهانة وقام بكل ما طلب منه دون أي رفض أو حتى رده فعل معاكسة لهم إذ نجد أن سلطة اللجنة قد سيطرت على عقله وتحكمه فيه وألغت كل مبادئه وعادته.

[1] صنع الله أبراهيم: اللجنة، دار الكلمة، ط 2، بيروت لبنان، 1983، ص 15.

[2] المصدر السابق، ص 14-15.

فيمكن تعميم علاقة الباطل (السارد) مع اللجنة على علاقة كل مثقف حر والسلطة، فهو يحتقر أعضاءها، ويعرف أنهم وصلوا إلى مناصبهم عن طريق التملق، فأراد أن يسلكه أي ينتهج نفس طريقهم فهم قد تورطوا من قبل في أعمال معادية للسلطة بينما هو لم يصل لأنه كان خارجًا من السجن منذ زمن بسيط.

كما يبرز التسلط في رواية اللجنة لصنع الله إبراهيم في قوة التحكم في إرادة الشخصية المحورية ومصيرها وهي متعددة الأشكال فهي بارزة في رجل الأمن (العسكري) الذي يراقب حضور الراوي في بيته بصفة رسمية في كل مساء، الذين يحاكمون الراوي، وهي السلطة الإدارية والأمنية في موقع العمل"[1]. ففي الرواية نقد للمثقفين المتذبذبين بين أيديولوجيتهم.

وطموحاتهم، فالاقتراب من السلطة والتمسح بأعتابها في هذه الصورة من أمور لا تجدي، أنه كان عليه أن يقف ضد اللجنة وليس أمامها، وذلك نتيجة قلة وعيه واطلاعه على هذه السلطة (اللجنة)، كما كان عليه أن يواصل نضاله لأن السلطة لا تعقل له ماضيه حتى بعد التوبة: "وعندما استعرضت تفاصيل المقابلة الأخيرة ندمت على تخاذلي وعلى أني فقدت أمام جماعة اللجنة الذلاقة والجرأة اللتين لأزمةاني في تعاملي مع أشخاص منفردين مثل القصير وعملاق والقويين والطيب".

" تمنيت لو قفت أمام أعضاء اللجنة من جديد، لأسمعهم كلمتي...تردد صوتي قويًا ثانيا في الغرفة الخالية وأنا أقول: " لقد ارتكبت منذ البداية خطأ لا يغتفر..."[2].

فاللجنة لديها وسائلها الخاصة التي تسمح لها بمعرفة كل شيء عن السارد (البطل)

[1] محمد بدوي: استعادة مشروع القتل، قراءة نقدية في رواية "اللجنة" لمنع الله إبراهيم، مجلة الأقلام، مج 18، 1983، ص 44.
[2] صنع الله إبراهيم: اللجنة، ص 152

وأهم ما يميز اللجنة هو الغموض إذا لا تعرف شيء عن أعضائها رغم محاولة السارد البحث عن هويتها وطريقة عملها، ولكن ذلك دون جدوى فهي تبقى مجهولة الهوية. ويمكن أن يدل على جهل العرب لحكامهم وسلطتهم ومن خلال رواية اللجنة نجده يقول:" أنها أجنبية تتكلم لغة مخالفة للعربية كما أنها تتكلم اللغة العربية وهذا ما برز في معرفتها كلمة «اللمعان» "لجأت إلى معاجم اللغة، فوجدت أن اللمعان في لغة **اللجنة** معنى واحد يقتصر على خاصية عكس الضوء أما العرب فقد أضافوا على الكلمة معاني متعددة..."[1].

حاول الكاتب هنا أن يبرز لنا حكم وسلطة الغرب على العرب وهذا من خلال اللغة التي تتكلم بها اللجنة إذ أراد أن يقول أن سلطة الغرب وقدرتهم باتت طاغية لدرجته أنهم أصبحوا يفهمون أدق التفاصيل في لغتنا وأصبحوا يملكون القدرة على التحكم فينا كيفما أرادوا فاللجنة ليس لها وجود رسمي ولكن في الوقت نفسه.

سلطتها مطلقة، حيث منعت السارد من مواصلة بحثه في موضوع الدكتوراة لكي لا يكتشف حقائق تحرج بعض أعضائها وتحرج النظام الذي تسير عليه (اللجنة) " وهذا حقيقي، فلم أتصور أبدًا أن اللجنة يمكن أن تزورني في منزلي... لم ينتظر أعضاء اللجنة دعوة ثانية ودلفوا إلى مسكني... أغلقت الباب ووقفت حائرًا عاجزًا عن الفهم وكما حصل في المرة السابقة لم أتمكن من أحصاء عددهم من جراء عجزي عن التركيز وانشغالي بإيجاد تفسير لزيارة غير متوقعة"[2].

كما أنها تعرض عرضها القصير على السارد في بينة لمراقبه بل إنه يهدده بمسدس، وهي تحكم المترشح وتتهمه بالمشاركة في مؤامرة غير موجودة، يهدده أحد أعضائها العسكري بالتعذيب لقوله الحقائق التي ترغب بها هي وفك عقدة لسان السارد كما تريد هي، وهذا اكله تسلط وعدوان

[1] المصدر نفسه، ص 36، 37.

[2] المصدر السابق، ص 37.

على المثقف العربي (السارد). فاللجنة هنا مثلت كل أنواع وبكل طرقها العميقة، مما يسمح ببروز العلاقة بين المثقف والسلطة في عالمنا العربي التي يحكمها الضغط والعنف فهي علاقة قمعية بامتياز.

ب- السلطة في رواية شرف:

رواية شرف لصنع الله إبراهيم هي من أجرأ ما كتب، إذا تروي قصة ذلك الشاب الذي وجد نفسه داخل السجون ليتعرض إلى جميع أشكال الظلم والإهانة والاستبداد والسيطرة، أشرف: ذلك الشاب الذي كان يعيش تحت سيطرة والده فقد كان يحاول الهروب من ضغط والده الذي كان يسمعه كل ليلة " ففي هذا الوقت من اليوم يكون أبوه بين سلسالين تليفزيونين.... ويشرع في تدوين مجموعة من الحقائق الحياة يحفظها أشرف على ظهر قلب منذ كان أبوه حريصًا على ألا يخفيها عنه"[1]، وكان والده يحاول الضغط عليه من أجل العمل، في حين كانت له طموحات مختلفة لا تتطابق مع المستوى الذي يعيشه داخل أسرته، ويمكن أنتنهيه من هذا العي الذي يشعر به:" أشارة شيء من الحمية في بدون شرف أو قلبه كي ينهي دراسته أو يجد لنفسه شغلة تخفف العباء"[2]. تعرض شرف إلي كل أنواع القهر والسيطرة من طرف والده الذي أتعبته تكاليفه.

بالتقدم يدخل شرف إلى السجن تلك السلطة المطلقة، حيث قام بالتقدم إلى السلطات من أجل حقه من ذلك المعتدي، ولكن لم يحصل ذلك، فبعد أن تقدم شرف إلى السجن من أجل أن يدافع عن شرفه الذي أعتدي عليه أصبح يريد الحفاظ على شرف أخته:" أدركت الأصوات، المحيطة بي أن الضباط والمخبرين مازالوا موجودين فخاطبتهم قائلا: حرام عليكم وبدأت أبكي.

سمعت الضابط يقول: اختار اسم واحدة نندهلك بيه ...الخ.

[1] صنع الله إبراهيم: شرف: دار الهلال، ط 1، القاهرة، مصر، 1997، ص 9.

[2] المصدر السابق، ص، ن.

قال: اسمع الكلام أحسن نندە لأختك ونقلعها.

قلت له: كله إلاده، أنا مستعد أعمل أي حاجة **أبوس** رجلك [1].

فالبطل (أشرف) تعرض داخل السجن إلى الظلم، بعد ما كان يظن أن السلطة ستنصفه، فهي سلطة ظالمة، حاولوا إخضاعه إلى أوامرها بكل الطرق، وأجبروه على الاعتراف بما لم يفهم به (القتل العمد)، فالسلطة داخل السجون هي سلطة غير شرعية تقمح الحقوق ولا تعطي لكل ذي حق حقه.

تحدثت الرواية عن الشرف المهني لكل موظف مهما كان موقعه في السلم الإداري الذي حاول "صنع الله إبراهيم" تصويره من خلال هذه الرواية، حيث أن المسؤولين أو الحكام وصلت بهم أطماعهم إلى تأسيس مؤسسات عبقرية وتهطل ما تطمح إليه عبر مناهج ذكية للوصول إلى غاياتها "مثلا رئيس مجلس إدارة قد الدنيا، حاصل على درجة الدكتوراه يتفنن في إعداد قوائم بمستلزمات منزله من أرد... وتوزيع الرشوة...وآخذ شرف الملاعق الفضية من الطائرات...ورابع من كبار رجال الدول يفرض إليه شريكا على المشروعات الناجعة... وخامس يتعمد تخريب مصنع ناجح لصالح منافسه أجنبي مقابل رحلة إستجمام"[2].

هكذا صور لنا صنع الله إبراهيم فساد السلطة في مصر فساد بكل أنواعه في جميع **المؤسسات** الإدارية وعند كل مسؤول أو حاكم ونجده يقول أيضًا:

إن كونته صارت مصدر خطر على استقلال أي بلد، فنفوذها أقوى من الحكومات وهي غير مسؤولة أمام أي جهة في أي مكان، وهي تتحكم في أموال هائلة...كيف يمكن لأي حكومة أن تتحكم أو تسيطر على كيان نسل هذا يشبه (سمك الجيلي): موجود في كل مكان وليس موجود

[1] المصدر نفسه، ص 33.

[2] المصدر السابق، ص 33.

في أي مكان؟ أعدت على سمعها ما أقترحه أحد المدراء من ضرورة التفكير في شراء...الدول الإفريقية الغنية بالمواد الطبيعية طالما أن حكومتها عاجزة عن حل مشاكلها"[1] حيث نرى أن ˹صنع الله إبراهيم˺ من خلال روايته حاول إبراز هذا الفساد داخل المؤسسات الكبرى والصغرى وسيطرة الحكام وفساد أمرهم وعقولهم وضياع الشعب داخل هذه الدوامة من الفساد الأخلاقي الذي دمر كل طبقات المجتمع وأصبح العالم العربي يعاني من أزمات كبيرة وخطيرة جدًا نتيجة هذا الحاكم المستبد.

2- ملامح اغتراب المثقف:

يعد الاغتراب ظاهرة إنسانية ما لَبِثَتْ تتفاقم ويتعاظم أثرها كلما ازدادت حدة ضغط ما تخلفه الحضارة المادية على النفس البشرية، حتى أصبحت « التجارب والأحوال التي ترتبط وغالبا ما توصف، **لهذا** المصطلح إنما هي خصائص مميزة لعصرنا الحديث وللمجتمع الصناعي بوجه عام، والمجتمع الرأسمالي بوجه خاص»[2]. على أن هذه الظاهرة ليست جديدة كلية، وإنما هي ظاهرة عرفت في مختلف المجتمعات وغبر مختلف الأزمات، وإن لم يكن المصطلح كان قد انتشر واتخذ أبعادًا فلسفية مختلفة كما هي حاله الآن، ويرى "فروم" « أن القضايا الإنسانية المختلفة كالحب والحرية، والقلق والاغتراب...إلخ لا يمكن أن تنفصل عن البناء الاقتصادي والسياسي والثقافي للمجتمع، لذلك فإن تحقيق الحرية الايجابية وقهر الاغتراب مرهون لديه بتحقيق التغيرات الاجتماعية والاقتصادية المناسبة التي تسمح للإنسان أن يعبر عنه بشكل تلقائي حر»[3].

[1] المصدر نفسه: ص34.

[2] رجب محمود: الاغتراب سيرة ومصطلح، ط4، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1993، ص 09.

[3] فروم: الاغتراب عند إيريك فروم، المؤسسة الجامعية للدراسات، النشر، د، ط، بيروت-لبنان، 1995، ص 142.

ويتجسد مفهوم الاغتراب بمظاهر العزلة الناتجة عن إحساس الفرد بأن الآخرين لا يوكبونه فكريا، وعما يسود المجتمع من ثقافات مشوهة وتضليل سياسي وتضارب في الأراء عن تميزه في اختصاصه أو تفرده بمجال معين،« وبعبارة أخرى فإن الإنسان في العصر الحديث أصبح منفصلا انفصالا حادًا لم يسبق له مثيل، سواء عن الطبيعة، أو المجتمع، أو الدولة، أو الله، حتى نفسه وأفعاله... فلم يعد قادرًا على إقامة الجسور التي تصل بينه وبين هذا الآخر، التخلف المظاهر والمتعدد الأسماء، وأصبح ومن ثم عاجزًا عن تحقيق ذاته، ووجوده نحو شرعي أصيل»[1].

إن موضوع الاغتراب من المواضيع التي عبر عنها القرآن الكريم، إذ حملت آيات من الذكر الحكيم « معنى اغتراب الإنسان، اغتراب الإنسان عن الله، واغتراب الإنسان عن الإنسان، فخروج آدم من الجنة وهبوطه إلى الأرض كان أول اغتراب له، ومحنة الإنسان من الشيطان كان اغترابا آخر»[2].

فالإنسان إذن اغترب عن ربه عندما عصاه فخرج من نعيم الجنة، واغترب في أرض موحشة ومن كرم الله عزوجل أن كان هذا الاغتراب في حدود المكان، حيث أنه قبل توبة آدم عليه السلام بعد ما عصاه، وبعد أن كادت مشاعر اليأس والخوف والقلق والألم تستولي عليه، لقوله تعالى: فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (سورة البقرة 37). وبذلك خفت مشاعر الغربة، لأن الانسان كلما اقترب من الله ازداد إيمانه واطمئن قلبه مصداقا لقوله تعالى: الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (سورة الرعد:28).وكان الأنبياء سلام الله عليهم ممن أدركتهم الغربة وهم يحملون الرسالة التي كلفهم الله تعالى بنشرها، فقد خرج سيدنا موسى" من مصر هاربًا من ظلم فرعون وقومه، وناجوكان الأنبياء سلام الله عليهم

[1] رجب محمود: الاغتراب سيرة ومصطلح، ص 06.

[2] عادل الألوسي: الاغتراب والعبقرية، دار الفكر الغربي، القاهرة–مصر، ط1، 2003، ص 03.

ممن أدركتهم الغربة وهم يحملون الرسالة التي كلفهم الله تعالى بنشرها، فقد خرج سيدنا موسى" من مصر هاربًا من ظلم فرعون وقومه،وناجى ربُّه[1] قائلا:"يارب إني وحيد مريض غريب..." فناداه ربه: يا موسى الوحيد من ليس له مثلي أنيس والمريض من ليس له مثلي طبيب، والغريب ليس بيني وبينه معاملة".[2]

وهذا ما يؤكد المعنى السابق من أن قهر الاغتراب ومشاعر اليأس والقلق والألم والتشاؤم لن يكون إلاّ بقرب الإنسان من الله والرسول صلى الله عليه وسلم ذاق الغربة في وطنه مكة، وشركهم وكفرهم بالله، فخرج من مكة إلى الطائف متجنبا اضطهادهم، وعندما اشتدبه الألم توجه إلى ربّه بدعائه الذي يفيض بمشاعر الغربة والآلام والحزن والإيمان:" اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ياأرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملّكته أمري؟"[3].

كما أن مصطلح الاغتراب ورد في عدد من الأحاديث النبوية الشريفة التي فيها امتداح لغربة أهل الاسلام، قال رسول صلى الله عليه وسلم في وصف اغتراب الاسلام والمسلمين: "بدأ الاسلام غريب وسيعود غريب فطوبى للغرباء"[4].

لقد كان الاسلام غريبا لأنه لم يلاق الأجيال والنصرة في أول عهده، حيث وقف الأهل والأقارب ضد المسلمين الذين اعتقلوه وكان عددهم قليل، فعانوا من الاضطهاد والتنكر محتبسين

[1] عادل الألوسي:" الاغتراب والعبقرية"، ص 04.

[2] ابن القيم الجوزية: "مدارج السالكين"، رضوان جامع رضوان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة–مصر، 2001، ص 371.

[3] محمد ناصر الدين الألباني:" ضعيف الجامع"، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن، السنة الإسكندرية، مصر، ص54.

[4] أبو الحسن مسلم بن الحجاج: القشيري النيسابوري، "الصحيح"، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص 90.

وأخرجوامن ديارهم فازدادوا غربة على غربة فصدقًا قوله تعالى:"**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ**"(سورة الحج:40).

"وأبو حيان التوحيد" كان مثالا للمثقف المقترب في مجتمعه الذي خاب أمله ورجاؤه فيه فهو " لم يحظ بالمكانة المرموقة التي تليق بمنزلته، ولذلك استوحشت حياته وعاش غريبا في مجتمعه"[1]، فأحرق كتبه، فهذه النهاية المأساوية احتجاج منه على وطنه الذي لم يوفر له الحياة الكريمة، بل ذاق فيه ألوان الفقر والحاجة والعوز الذي زاده من مشاعر الغربة لديه فكان أغرب الغرباء " وأغرب الغرباء من صار غريب في وطنه وأبعد البعداء من كان بعيدًا في محل قرية"[2].

"فالتوحيدي" لم يعرف في وطنه إلا الخوف والشقاء، كما نجد "أبن الطفيل" يجسد اغتراب الإنسان في قصته حي ابن يقظان وذوبان هذه الغربة بالطبيعة فيصّور "تخطيه هذه الغربة ليلتحم بالطبيعة فتكون الطبيعة وما فيها من حيوان ونبات أهلا له، حتى يتطور وتنمو مداركه ويصل إلى الكلام، ومن ثم يسمو إلى الحقيقة التي أولها معرفة الله[3]، وبذلك يبلغ ما يبلغه أهل التصوف من مراتب المشاهدة والفناء بحب الله، ومن هؤلاء المتصوفة ابن **عزني** الذي يغلب عليه الشعور بالغربة الكونية لدرجة تجعلنا نستنشق معها نزعة عدمية[4]، قوامها الهرب من هذا الوجود الحسي الأرضي بوصفه غريبا وغير أصيل، وذلك بالرجوع إلى الله والفناء فيه في وحدته، ويعبّر عن هذا الشعور إبراهيم إبن أدهم الزاهد المتصوف بقوله:

هجرت الخلقَ لحرًا في هواك وأَيْتَمْتُ العيالَ كي أراكَ

[1] بن علي قريش" الاغتراب في الشعر الغربي الحديث (1920- 1945)"، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس،2006-2007، ص 11.

[2] أبو حيان التوحيدي:"الإشارات الإلهية"، تحقيق عبد الرحمان بدوي، دار العلم، بيروت، لبنان، ط 1، 1981، ص 80، 81.

[3]عادل الألوسي:" العبقرية والاغتراب"، ص 63.

[4]صالح زامل: "تحول المثال"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003، ص 21.

فلو قطعتني في الحّداءِ رْئِا لما حنَّ الفؤادُ إلى سواكَا[1].

وتتعدد الدراسات في علم النفس وعلم الاجتماع وتتسع بحيث يتخذ الاغتراب دلالات نفسية واجتماعية عدة، وذلك باعتباره "حالة سيكو اجتماعية ناتجة عن تأثير الجماعة والأوضاع الاجتماعية في الفرد، وصراع هذا الأخير مع محيطه"[2].

وإن أول ملاحظة تواجه الباحث عن مفهوم الاغتراب في علم النفس هو اختلافه من باحث لآخر، ولكني اقتصرت على أهم التعاريف المتقاربة، حيث نجد بعض الباحثين يعّرف لاغتراب بأنه " شعور بالوحدة أو الغربة، انعدام علاقات المحبة أو الصداقة مع الآخرين من الناس، وهو حالة كون الأشخاص والمواقف المألوفة تبدو غريبة"[3].

بمعنى أن أساس نمو هذه المشاعر المغتربة وثقافتها لدى الأشخاص نابع أصلا نتيجة عدم التواصل الجيد مع الغير عملية مهمة في بناء شخصية ذات نفسية سوية قادرة على تجنب مثل هذه المشاعر السلبية (الاغتراب والعزلة نتيجة له).

ويعد الاغتراب من أهم المفاهيم السيسيولوجية إلاّ أنه لا يزال أقل المفاهيم تعريفا في علم الاجتماع الحديث، حيث يقوم " مفهوم عالم الاجتماع الفرنسي دوركايم على فكرة تفكك القيم والمعايير الاجتماعية، بحيث لا تتمكن من السيطرة على السلوك الانساني وضبطه"[4].

ويستعمل مصطلح أنوميا للتعبير عن الاغتراب فعندما يتساوى كل شيء من حيث الجوهر والقيمة يفقد معناه، وكنتيجة طبيعية لذلك تظهر مشاعر العبث والقلق واليأس، ويعبّر جْرُودَزَنْعن

[1] ابن رجب الحنبلي:" كشف الكربة في وصف أهل الغربة"، مطبعة النهضة الأدبية، ط 1، 1332، ص 27.

[2] شرفي بموسى عبد القادر:" الاغتراب في حكايات ألف ليلة وليلة"، رسالة ماجيستر، جامعة تلمسان–الجزائر، (1996– 1997)، ص5.

[3] كمال الدسوقي: " ذخيرة علوم النفس"، الدار الدولية للنشر والتوزيع، د، ط، القاهرة، مصر، 1998، ص 77.

[4] بسام خليل فرنجية:" الاغتراب في الأدب حليم بركات"، مجلة الفصول، المجلد الربع، العدد الأول، 1993، ص 209.

الاغتراب بكونه الحالة التي يشعر فيها الأفراد بالانتماء إلى مجتمع أو الأمة حيث العلاقات الشخصية غير ثابتة وغير مرضية"[1]. بمعنى أن غياب هذه العلاقات نابعا أساسا من الاحساس بالاختلاف عنهم لدرجة " تبعث على التوتر في وجود الآخرين بسبب وجهة نظر المرء أو اهتماماته أو ذوقه الشخصي"[2]، وبالتالي يتعمق الاحساس بعدم الانتماء إليهم.

وفي سياق آخر يعد التمييز والتفرد اغترابا في حد ذاته وهو من أهم سمات المبدعين، فالإنسان المبدع ذو تكوين نفسي مميز، وهو أكثر الناس عرضة لمشاعر الاغتراب بحكم تركيبته النفسية الخاصة وعليه فإن " كل عمل روائي أدبي أو فني لا بد أن نعثر فيه على جذور الاغتراب منذ أقدم العصور حتى الآن، مع التأكيد على أن الاغتراب يميل نحو التضخم والتشعب كلما تقدمنا إلى الأمام"[3].

نتيجة لتطور وتعقد العوامل المساهمة في نمو هذه الظاهرة، وقد انتقل مفهوم الاغتراب من مجال الفلسفة إلى الأدب الوجودي في أعمالهم الروائية والمسرحية، حتى إننا يمكن أن نصف الأدب الوجودي بأدب الاغتراب والعبث واليأس، وذلك استنادًا إلى غناه لموضوعات نحو " التماهي، والاغتراب والموت"[4]،وهي موضوعات ذات صلة مباشرة باغتراب الإنسان الكوني، فمعظم الأعمال الأدبية التي كتبها لألبير كامي واحدة من أهم الروايات التي طرحت أزمة الوجود الإنساني و"حادثة الموت هي محور فلسفة الرواية، ومركز السؤال الوجودي الصعب"[5].

---

[1] المرجع نفسه، ص 209.

[2] ريتشارد شاخت:" الاغتراب"، كامل يونس حسين، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت–لبنان، 1980، ص 217.

[3] إبراهيم محمود:" الاغتراب الكفكاوي"، رواية المسخ نموذجاً، عالم الفكر، مجلد 15، العدد 602، 1984، ص 85.

[4] جون ما كوري: "الوجودية"، إمام عبد الفتاح إمام، د، ط، المجلس الوطني للفنون والآداب والثقافة، الكويت، 1982، ص 284.

[5] عادل الألوسي:" الاغتراب والعبقرية"، ص 151.

وإن فمعظم «الروايات لأَعْظَم الكتاب في تاريخ الأدب العالمي ابتداءً من القرن التاسع عشرة (قرن ولادة البورجوازية) مرورًا بالقرن العشرين، حيث تحولت الحضارة إلى آلة تحقق الرأسمالية من خلال مآربها، ومع الحَرْبَيْنِ العالميتين، حيث ازداد تمزق الانسان الداخلي لما يتلقاه من تأثير ووحشية الرأسمالية التي ضاعفت أزمة الاغتراب الانسان المعاصر». تنافس موضوع الاغتراب الشامل الناتج عن تعقد العلاقات الاجتماعية داخل المجتمعات الرأسمالية وقوانينها اللاإنسانية، حيث كانت هذه الأعمال الروائية بمثابة رد فعل على الواقع وهروب منه إلى واقع خيالي"[1]. فالوضع الاقتصادي إذا الإقتصادي إذًا أثر كبير في بروز الظاهرة وتشعبها.

الأدب الغربي لا يخلو من ظاهرة الاغتراب، والروائيون العرب أيضا عالجوا الظاهرة في رواياتهم من خلال أبطال رواياتهم، والذين يكونون عادة من المثقفين، ولو أن موضوع الاغتراب في الأدب العربي جديد نسبيا، ولم تشرع الأقلام لإعطائه أبعاده الجدية"[2].

إلا أن الاهتمام بهذه الظاهرة بدأ يأخذ مكانه في الرواية العربية التي أصبحت تعبر عن الواقع السياسي والاجتماعي المتدهور، فالأديب" يتأثر بما يحدث في الواقع السياسي والاجتماعي بالعديد من التجارب التي يكتسبها من جرائها كثيرًا من الخبرات، على مدار سنوات طويلة تتراكم في ذاكرته مؤثرة في تنامي وعيه، ويمضيّ الوقت يستوعب الأديب الواقع المحيط به ويتفهم أبعاد حركة، والتيارات الفاعلة فيه، حتى تتبلور لديه – تدريجيا – رؤية داخلية للحياة والكون"[3]. تنعكس جليا في نتاجه الأدبي، ويرجع اختيار البطل المغترب مثقفا لكونه مؤهلاً وقادرًا على إداك الواقع الشامل الذي نعيشه الأمة العربية، التي لا تشكل الحياة الاجتماعية فيها استثناء يتجاوز حدود

[1] إبراهيم محمود: " حول الاغتراب الكفكاوي"، ص 86-87.

[2] بسام خليل فرنجية: الاغتراب في أدب حليم بركات، ص 207.

[3] حسين عبد: المثقف الغربي المغترب في الرواية الحديثة، عالم الفكر، المجلد 26، العدد 1، سبتمبر 1997، ص 283.

هذه الظاهرة التي تسجل حضورها الشامل في الثقافة العربية المعاصرة، فالإنسان الغربي يولد اليوم في أجواء التسلط والإكراه ، وينمو في مؤسسات التغريب، وينتهي إلى زنزاناتالخوف[1]. فظاهرة الاغترابتهددهمن كل صوب وحدب، وتضرب بجذورها في حياته اليومية، والأديب الغربي أخذ على عاتقه تصوير آثارها على المجتمع والناس. والاغتراب في الرواية العربية نوقش في جانبيه المكاني والنفسي الذي يعاني منه الأديب العربي نفسه، فمعظم الروائيين العرب كانوا من المثقفين الذين قاسوا من تسلط المؤسسة السياسية وأدركتهم المحن الشديدة التي يعاني منها المواطن العربي من (تخلف فقر، قهر، دكتاتورية استبداد) عمقت الشعور لديه بالضياع واليأس والتشاؤم، على أن كل واحد منهم عالج الظاهرة بأسلوبه لخاص وحسب الطريقة التي يفهمها، لكنها جميعا كانت شاهدًا على" اغتراب الانسان العربي الذي هدته الكوارث **وقال** منه القهر بأنواعه منالاً عظيما "[2]نتيجة الظروف السياسية والاجتماعية المتلأزمة التي يعيش في ظلها.

قدم لنا صنع الله إبراهيم من خلال رواياته شخصيات من واقع المجتمع المصري بشكل خاص والمجتمع العربي بشكل عام، بكل ما يحمله من سمات إنسانية إيجابية أو سلبية، فجاءت شخصياته غنية مغرية بالاكتشاف والتحليل، تعكس الجوانب الاغترابية في تكوين تلك الشخصيات وفق نوع الظاهرة الاغترابية التي وسمت الشخصية. فحالة الاغتراب عند البطل في أعمال صنع الله إبراهيم الروائية أخذت صورًا متعددة، منها الغربة الذاتية والفكرية والنفسية، ولم تقتصر على الشخصية بعينها، بل هي سمة مشتركة في النماذج جميعها[3]. على أن تصنف أنواع الاغتراب

[1] على وطفة: المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية"، عالم الفكر، الجلد 27، العدد 2، ديسمبر 1989، ص 241.

[2]متقدم الجابري: تجليات الاغتراب في شعر صلاح عبد الصبور، مجلة الأثر، جامعة مرباح، ورقلة، العدد 04، ماي 2005، ص 204.

[3] زعري صبحية عودة: غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجد لاوي، عمان–الأردن، ط1، 2006، ص 72.

يتم وفق الدوافع التي تؤدي إليها، مع الالتفات إلى أن الأنواع كلها ترتبط معا وتتداخل بما يصعب الفصل بين السياسي والاجتماعي والنفسي والديني منها، ولكن ردود الفعل الظاهرة ترفع باتجاه شكل يبدو أكثر وضوحًا لدى الشخصية الروائية من غيره، ومن هنا فإن هذه الدراسة لم تسع إلى حصر أنواع الاغتراب جميعها. ومحاولة البحث عن مدى ظهورها جميعا لدى الشخصية الروائية (صنع الله إبراهيم)، لكن العكس هو ما انتهجته هذه الدراسة، فابتدأت من النص ومن النظر في طبيعة تلك الشخصيات وما اعتراها من مظاهرا اغترابية برزت في لأشكال الآتية:

أ – الاغتراب الديني:

وهو أحد أشكال الاغتراب التي تنتاب الشخصية الانسانية حين لا تقدم له حين لا يقدم لها إيمانها أي مخرج وجداني، فتنتقل من حالة إلى أخرى مجاورة، وقد يفني لاغتراب الديني نوعا من الاغتراب تحت الحس الديني الطافي على سطح الشعور والتحول إلى العمق الصوفي أو رفض القيم الدينية[1].

وقد حفلت روايات صنع الله إبراهيم بهذا اللون عن الاغتراب بشقيه السلبي والإيجابي، ففي رواية "اللجنة" التي بلهجة الاستسلام، فقد جاء بطل الرواية متنازلاً عن القيم التي نشأ عليها، ويلع استسلام، فقد جاء بطل الرواية متنازلا عن القيم التي نشأ عليها، وبلغ استسلامه درجة من المثقف والتأقلم أَوْدَيا به إلى الإهانة والاحتقار فثار لكرامته، وحكم عليه بتدمير الذات مراوحة بين التنازل والرقص، استسلم فأهين وثار فَحُوكم، ترك "اللجنة" وحاول الاندماج في المجتمع فرفضه المجتمع حكايته مع "الكوكاكولا"، ومع "العملاق"، ومع "الطبيب"، فأحسن أنه منبوذ فاعتزل الناس. وهذه الحقيقة أفشى عقاب، حيث فقدت اللجنة كل ارتباط بها بالقيم الانسانية فطلبت منه:" فخلعت

[1] العبد الله يحي: الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن خلدون الروائية، عمان، دار الفارابي، 2005، ص 124.

السروال... بينما استقرت أعضاء اللجنة عن الجزء العاري من جسدي يتأملونه باهتمام"[1]. ثم قالت له " أمرني ان أسعل وعندئذ شعرت بأصبعه داخل جسدي...أنك لم تتمكن من ممارسة الجنس مع سيده معينة، كيف يكون ذلك وأنا لا أعرف السيدة التي تعنيها"[2].

حيث تنامي لدى بطل الرواية إحساسه بذاته العاجزة على الرغم من أنه لا يعرف حكايتهم، فهو يترجم لدى موقفه الفكري العقائدي بسخرية مريرة ويتضرع يائس، ويتضح ذلك من خلال ما أمرته اللجنة بفعله ولم يتصرف بأي تصرف ورَذخ لشروط اللجنة التي عارضت مبادئه وقيمه وأخلاقه وجعلته يفقد الثقة بنفسه وسقطت كل المفاهيم الدينية، وضعف ما أدى أن تبدو روحًا انهزامية استسلاميه خلت من أية محاولة للبحث عن بديل أو طريق للخلاص. ولعل ذلك يعود إلى أنه واحد من أولئك الذين أعطوا كل شيء ثم خسروا كل شيء وهذا يقودنا للحديث عن الاغتراب السلبي عن بعض المفاهيم والمعتقدات الدينية، وهو لون من التمرد على تلك المعتقدات ومحاربتها.

فقد عرض "صنع الله إبراهيم" لوجه آخر من وجوه هذا الاعتقاد في شخصية " شكري" في رواية " أمريكانلى" أو "أمري كان لي" حيث تنوعت الاتجاهات الفكرية ومن ضمنها رفض الغرب على لسان "صافي" نجد يقول « نحن نقول لا إلا الله محمد رسول الله، الله هو الأكبر، أكبر منكم جميعا...أكبر من أمريكا والنظام العالمي الجديد الذي يسعى إلى تجديدنا من كل أثر لإنسانتينا»[3]. وهذا النوع آخر للاغتراب الديني حيث أن المجتمع المصري يرفض الغرب ويبدي وجهة نظره ومعتقداته، وإنسانيته وقيمة التي تتعارض مع الآخر ألا وهو الغرب، رغم أن "شكري" سافر إلى

[1] صنع الله إبراهيم: اللجنة، ط 2، دار الكلمة، بيروت–لبنان، 1983، ص 18.

[2] المصدر السابق، ص: 17– 18.

[3] صنع الله إبراهيم: أمريكانلي، ط 1، دار المستقبل الغربي، القاهرة – مصر، 2003، ص: 422– 432.

سان فرانسيسكو لم يتخل عن إيمانه بربه. ومن ذلك الغربة في المعتقدات. ففي ظل تفاقم السطحية وافتقاد الحميمة في العلاقات بين الناس، وغياب الإحساس يجد في الحياة، تفاقم ظاهرة الإلحاد يكون الهرب مدفوعًا شعور قاتل من الاغتراب عن هذا العالم المنكفئ على نفسه العاجز، المكيل، المتصوف على وجهه، وهذه، كلها صفات وإن خلفها بطل "صنع الله" على العالم الخارجي إلا أنها في حقيقة الأمر لا تعد، وأن تكون حالته هو – البطل – في داخل نفسه المهزومة، وكلها حالات اغترابية مثل هذه الربط الشخصية التي تحد نوع آخر، فكلما تعاظم الشعور بالغربة داخل الشخصية، تعاظمت أسئلة الحياة وأسئلة الواقع في داخل الشخصية، تعاظم الشعور ببؤس الحياة في انتظار التغيير. وإذ يطرح صنع الله إبراهيم في روايات قضية اتصال الانسياق بالذات الإلهية سواء بالتوجه المباشر أو عن طريق المفاهيم الدينية السائدة لدى العامة، فشخصيات رواياته التي سبق عرضها في هذا الفصل شخصيات فقدت الحس الديني واعتبرت عن الله تعالى.

ب – الاغتراب القيمي الاجتماعي:

قد يلجأ الفرد المغترب اجتماعيا إلى الخروج عن نواميس السائد الاجتماعي من خلال مناهضة تلك النواميس أو معذرتها ومحاولة اسقاطها خضوعًا لرويتين: إحداهما سلبية والأخرى ثورية ايجابية هدفها تغيير القانون الاجتماعي[1]، فالغريب هنا هو من يجتنب المجتمع وما يشيع فيه من معتقدات وينفصل عن العامة والناس باعتبار أنهم من عوامل ضياع ذاته الأصلية[2]، كما أن مجمل العلاقات بين الأنسان والأخرين تتشكل من خلال مجموعة من القيم التابعة من سوية النفس البشرية وسلامة توجهها الفعلي وانطلاقتها في خصم الحياة، ضمن معطيات وظروف طبيعية، إلا أن حدوث أي خلل في ارتباط الشخص بأي قيمة ايجابية يخلق هناك نوعًا من

[1] العبد الله يحي: الاغتراب في دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، عمان، دار الفارابي، 2005، ص 80.

[2] رجب محمود: الاغتراب سيرة ومصطلح، ص 44.

لانفصال يقع داخل وما طمح عليه أصلا من جهة وانفصاله عن الأخرين من جهة أخرى "فالاغتراب يقع داخل الشخصية الفردية وذلك على الرغم من أن عوامل اجتماعية يمكن أن تسببه"[1].

وقد رصدت الرواية المصرية علاقة الأفراد الأسرية وما اعتروها من خلل وتفكك، وكشفت روايات "صنع الله إبراهيم" أن هذا الانفصال نتج عن ضغط الواقع السياسي المتمثل بخروج الناس من وطنهم وتعرضهم للتشرد والنفي وما يتبع ذلك من خلل في الكيان الاجتماعي، الأمر الذي أدى إلى إحساس الإنسان بفرديته وبحثه عن حلول فردية سريعة للتخفيف من حدة ذلكالضغط، خاصة مع تفاقم مشكلة الفقر المادي والفقر الروحي المتمثلين في فقدان الانسان ثقته بالآخرين وبكل شيء حوله. فقد عرضت رواية "اللجنة" لنمردج من معاناة بطل الرواية الذي حاول الاندماج في المجتمع فرفضه مما أدى إلى إحساسه بالعزلة عن أهله وأصدقائه ونلحظ ذلك في «فرغم أني تورطت في يضع أشياء تتناقض بدرجة أو أخرى مع مبادئي منها على الأقل قبولي للمهانة التي تعرضت إليها على يد اللجنة»[2].

ونجده في موضع آخر يقول «عندئذ انتابني شعور بالغ بالإحباط والعجز... ولمت نفسي على أني اتسقت منذ البداية وراء سراب من الطموح»[3]، لقد ضاع حلمه وهو يشد إلى ما قدمته له اللجنة من العثور على زجاجة الكوكاكولا، ثم عن ألمع شخصية ألا وهي الدكتور لكيلا يصل إلى هوية اللجنة وهذا ما فعلته اللجنة ببطل الرواية جعلته في ضياع باتجاه معاكس والغربة التي حولت حلمه وحياته إلى ضياع بلا قرار.

[1] فينيسكون والتر: الاغتراب الوجودي، تر، كامل يوسف حسن، مجلة الأدب، السنة 29، ع 3- 4، 1981، ص 23.

[2] صنع الله إبراهيم: اللجنة، ص 33.

[3] المصدر نفسه، ص 39.

وفي رواية "أمريكا نلي" نجد الاغتراب واضحا وبارزا حيث تشعرك كلمة "أمريكا نلي" في الوهلة الأولى أن صاحبها يعتنق الأسلوب امريكي في الحياة حيث يروي البروفيسور المهدي "شكري" الذي وصل إلى مدينة سان فرانسيكو الأمريكية، تلبيه لدعوة تلقاها من معهد متخصص لتدريس مادة التاريخ المقارن، حيث يقوم شكري بتقديم محاضرات به ثمانية دارسين من الأمريكيين ذوي الأصول المختلفة فمنهم الأسود **الهندي**، والأحمر والأبيض والياباني واليهودي والمسيحي والمسلم وأول ملاحظة هو التنوع في جنسيات الطلبة" ذوي الأصول والخلفيات الثقافية: «وعدت إلى جنيف أعطيتها الأوراق، وبقت في يدي ورقة زرقاء مطوية تضمن خريطة صغيرة لحرم الجامعة وتحذيرات عديدة قرأتها في عنابة:

لا تفتح باب مسكنك لطارق قبل أن تتأكد من هويته،

لا تدع أغرابا إلى منزلك،

لا تترك أشياء ثمينة في سيارتك،

وعندما تتوقف في مكان أغلق نافذتك وإذا غادرتها افعل هذا بسرعة وأغلق أبوابها بإحكام»[1].

إذ تعكس لنا هذه العبارات مقدار الغرق الذي يعيشه بطل الرواية "شكري" ويصور لنا حياة أمريكا جحيمها لا تطاق في البيت والشوارع التي ينتقل عبرها، بل تمتد تلك المعاناة وتصاحبه حتى داخل الحرم الجامعي التي هي"« قائمة على الجرائم التي تقع في **الكامبوس** خلال سبعة أو ثمانية أشهر **بلاغان** عن اغتصاب واعتداد بالضرب، **وبيبع سرقات** وقع أغلبها أثناء مغادرة الطلبة للمكتبة...[2].

[1] صنع الله إبراهيم: امريكانلي، ص 13- 14.

[2] المصدر نفسه، ص 109.

كل هذه الصور السلبية تجسد الحياة في أمريكا المتمثلة في الانحلال والجنس وانعدام الأمان وانتشار الجريمة. فقد أسهمت ظروف الواقع السياسي والتشتت الأسري في فقدان القيم الاجتماعية الأمر الذي يؤدي إلى اغتراب الشخصية من محيطها وشعورها بالضياع ومن ثم قبولها بما لم تكن تقبله في أحوال غير تلك التي تعيشها الشخصية في الواقع، الذي يعكس لنا موقفًا من مواقف المقاوم الحر، إذ يبين لنا جانبا من القناعات الشخصية التي يعتنقها وتعبر عن إدانته السياسية التي ينتهجها النظام المصري (وحليفته الولايات المتحدة الامريكية) نجده يقول «قال **لمام** الجنسية **أمان** في مصر كذلك أنا لي إثنيين قرايب اختلفوا حول ملكية قطعة أرض في الصعيد واحد منها عنده الجنسية الأمريكية، فتدخلت لدى وزارة الداخلية المصرية وعلى الفور، وراحت قوات الأمن المركزي إلى موقع الأرض ومكنته من ملكيتها، شفت؟»[1].

إذن فاغتراب الإنسان عن قيمه الانسانية والاجتماعية في مثل هذه الحالات يعود إلى عوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية، وأما أن يكون هذا الاغتراب وفق عوامل وظروف معينة **منوعا** أو مقبولا فهذا ما لا يستطيع إنكاره لأنه يتعلق أساسا بطرح فكري لا ينتقل واقعا بقدر ما يعالجه فنيا.

ج – الاغتراب النفسي:

وهو سياق " يتعلق بما يحدث للفرد من اضطرابات نفسية وعقلية وما يستشعر من غربة في العالم وفتور أو جفاء في علاقته بالأخرين"[2]، فالانفصال عن الذات والواقع وشعور الانسان باختلافه عن الآخرين أو افتقاد الاحساس بالعلاقة بينهما ومن ثم انعدام الشعور بالقدرة على تغيير

[1] المصدر السابق، ص180.

[2] رجب محمود: الاغتراب سيرة ومصطلح، ص35.

الواقع أو افتقاد القدرة على اكتشاف القيمة في الحياة، كل ذلك قد يخلق حالة من اغتراب الذات عن الخارج، وهذا اللون من الاغتراب ليس إلا درجة متأخرة في سلم الحياة الاغترابية.

التي قد تصيب الإنسان، إذ أنه غالبا ما يكون نتيجة طبيعية للغربة المادية – المكانية وما يترتب عليها من إحساس بالفقد والضياع، أو عن عدم تلأؤم بين الداخلي (النفسي)

والاغتراب هنا يحمل دلالة على أحوال نفسية وعقلية تتفاوت قوة وضعفا، فقد يعني مجرد السرحان والشرود الذهني الناتج عن اهتمام الانسان بأمور معنية تبعده عن ذاته وتبينه بها عن نفسه، كما قد يعني فقدان الحس أو غياب الوعي، كما يحدث في حالات الصرع وشرب الخمر والجنون والخرف والخيل[1].

تجسد شخصية أو بطل رواية " اللجنة" حالة من حالات الاغتراب النفسي الذي يكمن في المثال التالي «كان قلبي يدق بعنق طيلة الوقت، ورغم محأولاتي للماسك والسيطرة على أعصابي، كررت لنفسي

أكثر من مرة أن اضطرابي سيفقدني... إذ سأعجز عن تركيز انتباهي»[2]نلاحظ أن طبيعة الاغتراب تتبع لجزء الأبرز والمهم الذي تكشف في قراءة رواية " اللجنة"، حيث قدم ذلك على نحو من الاعتراف التهكمي والبوح المؤلم الذي يقتصر بوطنه. وتبدو الذات في تلك اللحظة تعيش عزلة مصحوبة بانفرادها بذاتها، إذ تظهر فيه سمة الانزعاج وكثرة الأسئلة والإجابات الموحية نحو الانزواء الذاتي، ويظهر الاغتراب لدى أولئك الذين يتمتعون بقدر من الوعي أي لدى المثقفين كما في بطل رواية "اللجنة" وعادة ما تعود أسبابه إلى عدم التطابق بين الواقع، هو الواقع الذي يسهم

[1] المرجع السابق، ص 35، 36.

[2] صنع الله إبراهيم: اللجنة، ص 5.

بدوره في صنع الواقع الذاتي للشخصية وينجم لأزق عن عجز المثقفين عن التكييف مع هذا الواقع.

وفي سياق آخر يمكن أن نتحدث ضمن هذا المبحث عن الاغتراب المادي (المكاني)، ذلك أننا اكتشفنا ارتباط بالتكوين النفسي للشخصية.

ثم إن الدراسين قد أولو المكان عناية كبيرة، وصنفوه مستويات وفق أثره ومقدار سطوته على نفسية الشخصية الروائية، فثمة مكان مجازي افتراضي، ومكان هندسي محدد خارجي ومكان التجربة المعيشة الذي قد ينتقل ليحيا في الذاكرة حين يبتعد عن الكاتب، ثم المكان المعادي "الذي يتخذ صفة المجتمع الأبوي بهرمية السلطة في داخله وعنفه الموجه لكل من يخالف التعليمات وتعسفه الذي يبدو وكأنه ذو طابع قدري"1 ولعل المكان المعادي هنا هو المكان الاغترابي الذي يكشف أثر المكان في التلوين النفسي للشخصية، وهو ما نلمسه في في ما ورد على ألسنة شخصية صنع الله إبراهيم التي تحول المكان لديها إلى سجن ضيق تحت ضغط الشعور بالوحدة والألم والفقر والقهر، فنكاد نسمع صوت "شرف" بطل رواية شرف" كما ألفت الأم أن تنادي حبة عينها، شاب في أوائل العشرين من عمره يجلبه حظه السيء إلى السجن لأنه قتل "جون" سائحا أجنبيا بريطانيا دفاعًا عن اعتدائه على شرفه، حيث تقع معظم حوادث الرواية في السجن، الذي يعتبر مكانا مغلقا، يمنع فيه رؤية العالم الخارجي ويشعرهم بالنفي والاغتراب والاضطهاد الجسدي، وفيه تشكل جدران العنابروالغرف والأسلحة والقمع والإساءات النفسية الاجتماعية، والحرمان من أسيط متطلبات في الحياة والعيش الكرم.

لهذا يبد والقضاء المكاني سيد الموقف، المكان بوصفه الإطار العام للانتماء والعيش والأمان. فضلا عن نمطية الحياة في السجن، لأن الحرية هي جزء مهم من ملامحها وجمالها، وأعتقد أن من أصعب الأمكنة التي تواجه "صنع الله إبراهيم" في كتابه روايته "شرف" هي الأمكنة

المغلقة كالسجن، ولكن استطاع أن يكشف عن مواطن بالمكان نفسه، فواقع السجن مختزل وشامل من الحياة، حيث بدت السجون مرآة للأنظمة السياسية الفاسدة التي تعبر عن الأمكنة الموحشة والمغلقة، ونجد ذلك بارزًا في هذه الرواية، حيث تصور لنا شخصية "شرف" في السجن معاناة الإنسان المصري في زمن[1].

الفساد للتعبير عن أزمة الضمير الإنساني، لكشف الفساد في هيكل الدولة وسيطرتها والتهريب والمخدرات، والمتاجرة بالأغذية الفاسدة فيقول: «وألفيتني عاجزًا عن التنفس إذا كان جو الزنزانة خانقا مكتومًا»[2]،وكذلك نجد في: «خرجت إلى الفناء فشعرت كأني خرجت إلى الطريق العام، كان مزدحما بالرائحين والعادين من النزلاء في ملابس منوعة الأشكال والألوان»[3]، وموضوع آخر «أخذني الحارس مع العم فوزي إلى المطبخ لنحل محل مسجونين خرجا إلى محكمة الاستئناف»[4]. وهذه لقطة مهمة لقراءة واقع السجون من الداخل، وهذا ما يجعلها واحدة من الروايات التي توثق حياة السجون وتكشف عن النظام السياسي والاجتماعي، الذي يهمين على مصر.

3-علاقة الأنا بالآخر:

شكلت مسألة العلاقة بالآخر قضية جوهرية في الحقل الأدبي، إذ نجد أن جل الأعمال الأدبية حاولت أن تناقش هذا الموضوع (جدلية الأنا والآخر). والحديث عن الآخر يعني اكتشاف الذات وعلاقة هذه الذات مع الآخر سياسيا واجتماعيا وحضاريا ثقافيا، وهذه العلاقة قائمة على أساس أن الذات هي المكون الأساس في الحركة الفكرية والثقافية بشكل عام والآخر هو مجرد

[1] غالب هلسا: المكان في الرواية العربية الرواية واقع وآفاق، ابن رشد، د، ط، بيروت-لبنان،1981، ص 226.

[2] صنع الله إبراهيم: شرف، دار الهلال، القاهرة-مصر، د، ط، 1997، ص 73.

[3] المصدر نفسه، ص 119.

[4] المصدر نفسه، ص 156.

ظل لهذه الذات وهو فرع عنها، وهو الخطأ لكل تصوراتها، وتظل العلاقة بين الأنا والأخر. علاقة جدلية افتراضية، فقد تكون الأنا على حساب الآخر وإلغاء لصالح الأنا، وهي قائمة على ثنائية الأشياء مثل: الحياة والموت، والخير والشر، ذكورة وأنوثة، جدلية الهوية وغيرها من العلاقات.

وبناء على هذا فقد تعددت حالات فهم الآخر وقراءته انطلاقا من رسم صورة متعددة له،إذ نجد الصورة السلبية اتجاه الآخر مجسدة في العدائية التاريخية والثقافية وعليه فإن صورة الأوروبي (المستعمر) في كثير من النصوص الأدب العربي مشوهة مادي، «غير أخلاقي، يزرع الضغينة حيثما حل»...، مما يؤدي إلى إثارة مشاعر العداء نحوه وهذا من جانب أما من جانب آخر فقد تنشأ صورة مشوهة إيجابيًاعن الآخر نتيجة الانبهار بثقافة إلى حد الذوبان فيه مما يؤدي إلى رسم صورة الآخر الأجنبي على حساب الصورة الحقيقة له»[1].وذلك تأثرا بنمط العيش وحرية الملبس والحرية الفكرية والعقائدية. وبين هذا وذاك تنشأ لنا صورة أكثر موضوعية تعتمد على الوعي بالانا مقابل الآخر وتتخذه بدالها في إطار الشامخ، ولكن الثقافة المبنية على التسامح والانفتاح مع الآخر وتحتاج إلى " نضج فكري ومعرفي يقوم على التأمل والتمثل لثقافة الآخر لا إلى " استردادها وتقليدها، وبالتالي يحتاج إلى حوار دائم بين الذات والآخر بعيدًا عن العقد النفسية»[2]. التي تجعل الإنسان متعصبا ومتفلقا أو سفتا زيادة على اللزوم.

وإن تطور الوعي العربي في ظل التغيرات الاجتماعية والسياسية والحضارية المتتابعة، ومع بروز حقول معرفية جديدة في الدراسات الأدبية الهادفة فسحت المجال للكثير من الاعمال الابداعية

[1] ماجدة حمود: صورة الأخرى في التراث العربي، مجلة فصول، دار العربية للعلوم، القاهرة–مصر، مجلد 16، ع 4، 1998، ص 28.

[2] المرجع نفسه، ص 29.

الروائية التي رسمت لنا حدودًا في تعملنا مع الآخر وجسدت ثنائية (شرف/غرب. شمال/جنوب) كما تناولت موضوع الهوية وغيرها من المواضيع التي تتعلق بالأخر.

أ– الصراع الحضاري بين الشرق والغرب:

لقد ارتبط مفهوم الحضارة بالمرأة في روايات المواجهة الحضارية، وجاء وصف هذه العلاقة في الأعمال النقدية بوصفها جوهرًا متعاليا على سلطة النص، وهذه العلاقة (ذكورة أنوثة) هي علاقة أولية تعود إلى العصور العابرة «منطلقا من قصص النبلاء في بلاط القصور، عارضنا في أسلوب اجتماعي ما قدمه ʿفروبه ʾ في محاولة التعرف على مأساة الإنسان إزاء طبيعة العلاقة التي تنشأ بينها»[1].

حيث نجد أن دخول هذه المواضيع في الأعمال الروائية تماشيا والتغيرات التي شهدها العالم في جميع المجالات الاقتصادية والثقافية والأدبية، إضافة إلى دخول الغرب إلى العالم بشكل مستعمر مهيمنا على العالم وتراجع مكانا الشرق نحو الوراء واصفه إياه بالمتخلف أو العالم المتخلف، فإن «الغرب الروائي عند الأدباء الغربيين فالشرق إمرأة عند الغربين، لذلك لا بد من يكون أن الغرب امرأة عند الأدباء العرب»[2].

وهذا ما وجدناه في رواية صنع الله إبراهيم "أمريكي" حيث تحدث الروائي عن علاقة الأنا بالأخر مركزاً على الرجل والمرأة كنموذج معتبرا (الرجل) مثال الحضارة الشرقية" تلميذ الجبرتي" وآثر أن تكون البطلة المضادة الغربية امرأة " بولين" "شرلي" " وسيلين" أما بالنسبة لروايات الأحرى ولم نجد ما يمكن أن يعالج هذه الأزمة.

[1] غالي شكري:أزمة الجنس في القصة العربية، دار الشروق، مصر، لبنان، ط1، 1991، ص 21– 22.

[2] جمال مباركي: الغرب في الرواية العربية الحديثة، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة–الجزائر، 2008– 2009، ص203.

صنع "صنع الله إبراهيم" لنفسه عالما روائيا حصاريًا، حيث كانت روائية عالم تراوحت فيه الثقافات وتجاوزت الأجناس المختلفة، " شكري" في الرواية كان أستاذا زائرًا ومشاركًا في المؤتمر المنعقد في فرنسا جمعته باكراه الغربية علاقات عابرة، وعليه كان الاتصال مؤقتا يحكمه الزمن، وإن اتخذ بعدًا مستمرا تاريخيا، أما بالنسبة للروائي فإن العرب لم يكن هاجسا وإنما اعتبره الثورة على الواقع الذي يعرف فيه قضاياه الجوهرية إلى العرب، وتمنح حرية الفردانية لآخر فهذا العرب (الولايات المتحدة الأمريكية) كما دعاه "جون ستاتيك" "الوحش المفزع" لأنه كبير جدا بحيث يتعذر عليه فهمه"[1].

وما يثير الانتباه هنا ذلك التماثل الدلالي بين وصف "شرلي" من قبل حاضر " صديق الراوي بأنها وحش يأكل الرجال أكلاً: " ... ماهي أخبار"؟

قلت مندهشا. مالها؟

قال وهو يدير الموتور: لا شيء أريد فقط أن أحذرك. فهي تأكل الرجال أكلا»[2]، فقد شبه المرأة الأمريكية بالوحش، وهو رمز للحضارة الغربية التي اكتسب فيه: السمة حيث يستقطب الغرب الشرقية إلى جنبه المتوهمة ويخفي الصورة الحقيقة له التي تشبه شبح الموت الذي يلاحق الفرد أينما ذهب. وهنا تكمن المفارقة بين ما تحمله الغربية من سمات وحشية، وعليه شراءي للقارئ إحداثيات الدلالة التي تقوم على أساس التناقص الحضاري بين المشرق والغرب وعلى أساس التماثل الوظيفي بين الرجل والمرأة (شكري–شرلي).

[1] جيكو موللرفاهرنهو لتر: الصراع على الله في أمريكا، منحني يعاني الدين المدني، العيكان، المملكة العربية السعودية، ط1، 2010، ص25.

[2] صنع الله إبراهيم: أمريكانلي، ص 134.

كما أشار "صنع الله إبراهيم" في الكثير من المرات في روايته (أمركانلي) إلى سلبيات الحضارة الشرقية ووجود إمكانية إعادة بناء الذات وفق إحداثيات حضارية جديدة، ووجود أمل لكسر الحواجز وحاوله بحث شرارة الحداثة للمضي قدمنا إلى الأمام فقد عبر الراوي "شكري" عن مرحلة من الحياة من خلال بعض الحلول التي قدمها الطبيب المعالج الذي يحيل. في أكثر تجلياته. إلى المفكر أو المثقف أو صانع الحضارة: " سألتني" "فادية" في شيء من التحدي: لكنك لم تقل كيف يمكن للمصريين أن يتخلصوا من هذا الإكتاب الجمعي أم قدر لا فكاك منه؟

أعتقد أنه يمكن التخلص منه كما فعلت أنا اركما أحاول أن أفعل. فلا أزعم أني قد شفيت تماما. الأمر يحتاج إلى بعض الوقت

نقصد بالمشي؟

انتشرت الابتسامات على الوجوه

قلت: نعم

قلت: ليس بضرورة، الفكرة هي تنشيط الدموية»[1].

حيث أشار الروائي إلى قصة الحضارة من منظور مختلف وذلك من خلال فكرة التخلف الذي رمز له (الاكتئاب الجمعي)، الذي يعاني منه الشرف والحل في نظر " صنع الله إبراهيم" يكون من خلال علاج هذا المرض (التخلف) بواسطة العقل وتنشيطه مشيرًا إليه بواسطة (الدورة الدموية)، ويقصد بذلك تفعيل الفكر وركب التطور الحضاري وتحقيق العدالة إذ صنع الله إبراهيم **نسب** الاكتئاب الجمعي إلى المجتمع المصري.

معتبرً أن مصر هي رمز العروبة ورمز الأمة العربية، وما يتعرض له الشعب المصري يصيب جميع الأمة العربية، وما يتعرض له الشعب المصري يصيب جميع الأمة العربية.

[1] المصدر السابق، ص 409.

وفي مقابل ذلك يري الكاتب ألا أمل في شقاء الحضارة العربية وذلك لأنه يرفضون استئصال الورم المادي، وهنا تبقى العلاقة بين الشرق والغرب علاقة صراع أيدي يمليه الإطار التفاعلي بين الرجولة والأنوثة. وهو يقول في ذلك: «... ظهر أستاذ الفيزياء بعد أسبوع وأصر أن يصحبني إلى الطبيب»[1].

ويمكن أن نسجل نقاط الاختلاف بين الشرق والغرب معتبرين أن شكري يميل (الشرق) إذ نجد أن لم يرفض العلاج والخضوع له رغم كل شيء أي أنه سيفعل ما بوسعه من أجل **الشفاء**، عكس شرلي " رفضت استئصال الورم رغم علمها به فالحضارة العربية وبالرغم من يقينها بمرضها لم تحاول القضاء على أسباب الأورام الخبيثة.

ب –أزمة البحث عن الهوية:

تعاني الهوية مما تعانيه المصطلحات المستخدمة في أكثر من فرع من فروع المعرفة، فكل فرع يتناولها من زاوية اختصاصه ويقدم لها تعريفه الخاص، ومن هذه التعاريف: ويقدم لها تعريفه الخاص، ومن هذه التعاريف: أن الهوية تعد "من المبادئ العقلية الأولى في الفلسفة، وهي تعني أن الشيء هو نفسه وليس غيره ومنها تشتق جميع المبادئ الفلسفة، وهي تعني أن الشيء هو نفسه وليس غيره ومنها تشتق جميع المبادئ الفلسفية الأخرى مثل التناقض"[2].

وتعرف أيضا بأنها انتماء كل فرد إلى عائلته، طائفته، والطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها وبنو جلدته كوجود سابق عن وجوده"[3]، كما أنها تعني الوجود والكينونة، فمن لا هوية له لا

[1] المصدر السابق، ص 409.

[2] برهان غليون:أزمة القومية وإشكالية بناء الذات الحضارية...، دار البدايات، سوريا، دمشق، ط1، 2008، ص 97.

[3] حاتم الورفلي وبول ريكورا: دار التنوير للطباعة والنشر بالتعاون مع جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية، د، ط، 2009، ص 33.

وجود ولا ك ينوية له[1]، وهي تعرف بوصفها منظومة من المعطيات المادية والمعنوية والاجتماعية التي تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفية، لكن لا يمكن لهذه المنظومة أن تكون في حيزا الوجود ما لم يكن هناك شيء ما يعطيها وحدتها ومعناها، ويتمثل ذلك في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الاحساس بالهوية والشعور بها"[2].

وبناء على ما سبق فإن الهوية نوع من الانتماء شريطة الوعي بمصادر ومكونات هذا الانتماء (العائلي، والطائفي، والاجتماع والثقافي) مجتمعة دون إقصاء أي منها، بذلك يعي الفرد ذاته كما تعي الجماعة ذاتها مع ملاحظة ضرورة حضور الآخر لتبلور الهوية.

يلجأ المثقف العربي للتراث منقب عن هويته القومية الغائبة، مع أن " البعد التراثي مكون أصيل من مكونات الهوية القومية"[3]، إلا أن أزمة الهوية تبدأ بتسليم المثقف لهزيمة المشروع القومي فيأخذ بالنظر إلى التراث على أنه المكون الوحيد للهوية والتعامل معه على أنه مرجعية يتشرف بعمل مستقبل الهوية العربية فيري المستقبل بعين القراءة التاريخية التي لا تقبل التطور أو التأثر والتأثير، فتضيع الهوية في تقليد محاكاة الماضي فيتولد إثر هذه الرؤية خيبات أخرى للمثقف العربي.

لقد بقيت الهوية القومية حاضرة في الرواية العربية وتظهر التباسات محذراتهاداخل النص الروائي كما هي خارج حدود النص الروائي من خلال طرح الهوية لمسألة التماثل والاختلاف، فما قد يكون متماثلا مع الآخر في أحد جوانبه يكون مختلفا معه في جانب آخر ومن خلال قراءة هذا

[1] عباس حكيم: أزمةالفكر القومي، مجلة شؤون العربية، ع 88، 1996، ص 60.

[2] أليكسميكشلي: القومية، تر: على وطفة، 1993، ص 129.

[3] على عشري زايد: البعد التراثي للعمومية القومية في الأدب الغربي المعاصر العمومية (رؤية عامة)، جامعة الدول العربية– مصر، ص 66.

التعدد في الهويات وفي تشكيل رؤيتها للذات تقرأ الهوية داخل النص الروائي، وحضور الهوية في الأعمال الروائية لا يكثف عند ارتفاع الأصوات المتحدثة بأزمةها خارج النص الروائي فقط.

"فالهوية ليست حلقة سحرية أو حشدا ضروريا من وقت لآخر إن الهوية ضرورية في الرواية وفي القضية وكل الأوقات"[1]، فعلى الرواية ألا تخضع القوانين السلطة من التقرب. والإقصاء وفقا لأهوائها بل تقوم بالتعبير عن العمم الإنساني سواء يبحثه عن ذاته وهويته في خصم الضباب الذي يكسو المجتمع الغربي. ونجد رواية "اللجنة" تفيض بنقل هذا العمم الإنساني، حيث حاول بطل الرواية أن يعرف هوية أعضائها وميولهم لكنه لم يعرف عنهم شيء لأنهما ستارًا من السرية وقد أسدل على أسمائهم ومهنهم، لأن من مثل قبله لم يفده بشيء، ومنهم من أنكر معرفتهم بها، ومنهم من تذرع له بالنسيان، ومنهم من أشفق عليه منها لأنه يعرف محنته نجده: «تعلقت عيناي بشفتي العجوز وبدا لي وجهه الشاحب أبعد ما يكون عن الحياة، خاطبني قائلا: في بداية هذا أحب أن أسجل تقديري الذي يشاركني فيه زملائي لاختيار المجيء إلينا»[2]. إن اللجنة محاطة بعمالة من الغرابة والرهبة إذ ليس لديها قواعد، ولا وجود رسمي، ولا تجبرا من على المثول أمامها وهي مكونة من أعضاء كُثر لا وظائف محددة لهم، وإن المهام التي تقوم بها تكاد تكون المثال الفعلي، ورغم ذلك فإنها تعرف كل شيء عن المترشح، وهو أيضا يعرف أن لديها تقارير كاملة عن شخصية، لأن نفوذها لملكيتها من الحصول على جميع المعلومات التي تتعلق ما يقوده طموحه إليها. بينما بطل الرواية "اللجنة" لا يعرف عنها شيء، وكل ما يعرفه كل ما يعرفه مثوله امامها فقد عرف أن أعدادها كبيرا جدا لم يستطيع تحديده، ولاحظ أن جل أعضاء "اللجنة": «يتطلع بعوينات طبية ومن بين أعضائها، امرأة عانس، وعجوز متهالكة ذات نظارات طبية سميكة وثلاثة

[1] سليم النجار: سؤال العمومية في زنوج...، دار الفضاءات للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2007، ص 31.

[2] صنع الله إبراهيم: اللجنة، ص 11.

من أعضائها عسكريون، وعضو قصير قبيح الوجه خاطبه بلهجة عدائية،ظن أن سبب حقده عليه يعود إلى حسده له على شهادات المترشح العليا»[1]. حاول أن يعرف غاية اللجنة من اختباره فتبين أن العلم يهمه بل " استكنه مفاتيحي الشخصية وطاقاتي الدفينة»[2]. أي معرفة توجهاته الايديولوجية أو التأكد منها ومحاولة غسل دماغه منها أي غايتها معرفة قدرة المثقف الانتهازي الايديولوجية أو التأقلم مع النظام الجديد نظام الانفتاح على الغرب وهذه اللجنة غامضة تظهر أزمة المثقف وانتهاكه نفسيا وبدنيا وإحساسه بالضياع ومحاولة اقتلاع هذا المثقف الضاربة جذوره في الأرض المصرية.

ويخط إبراهيم صنع الله روايته "أمريكانلي" لرحلة أستاذ جامعي في إحدى الجامعات الأمريكية، وما يهمنا أن زيادة هذه لشخصية المثقفة للغرب جاء مخض إمضاء للبحث عن الهوية العربية الضائعة، مستعينا بالتاريخ كشاهد وإثبات بين الماضي والحاضر، وبالرغم من أن روح التهكم والنقد للذات فإنها متمثلة في الشخصية الرئيسية للرواية الدكتور "شكري" حيث قال لتلاميذه: «إنما الفكرة هي محاولة دراسة نشاط مؤرخ عزلي معاصر...وتتبع العوامل التي أسهمت في توجيهه إلى دراسة التاريخ...»[3]. ومن هذا المدخل سيطلعنا بطل الرواية على أكثر من قضية نلمح في كثير منها مسألة البحث عن الهوية. فقد جاء في مقدمة ملف المؤتمر "للمثقفين" فقد جاء في مقدمة" ملف المؤتمر للمثقفين تشخيص اللحظة الراهنة في العالم الغربي وكيف أنه يتعرض لخطر فقدان الهوية، وحددت المقدمة طبيعة الحصار المزدوج التي تعانيه الشعوب العربية بين ظهور الإبداعية من جانب والتبعية المتزايدة من جانب آخر ويتبع أعراف المؤتمر نجد عنوين

[1] المصدر السابق، ص11.

[2] المصدر نفسه، ص18.

[3] صنع الله إبراهيم: رواية أمريكانلي، ص 34.

بارزة للهوية والثقافة العربية التي ضاعت خلال النزعات الداخلية والخارجية، ولا يكتفي إبراهيم هذه الإشارات من أوراق أعمال المؤتمر يأتي بما يتصدى وهدف المؤتمر، إن شخصية الأمير "جاسم" التي تعد رمزا الهوية وفقدانها وضياعهن بين التنطير والواقع يتجلى ذلك في وصف ملامحه الرواية في الرواية فهو: «عريض الجسم قصير القامة، في ملابس أوروبية، بدوية قوية يتصدرها شارب أسود كثيف وألقى كلمة تقليدية دعا فيها إلى تنمية الحوار الراقي والهادف إلى الاعتزاز بثوابت الأمة وقيمها وأخلاقها والحث على **نبذ** دواعي الفرقة بين أفرادها...»[1]،وهذا التناقض دليل لضياع الهوية الثقافية القومية للأمة العربية بين ما هو منظر وما هو مطلوب على وجه الحقيقة.

ونجد مسألة الهوية في موقع آخر في الرواية، فطلاب " شكري" في المحاضرة هم عناوين لمشروع بحثه، ومن ذلك دفاعه عن ماهية القومية العربية التي التهمتها إحدى الطالبات وهي "**مونا**" بهشاشة أساسها فرد عليها بقوله: «بالنسبة لأي مصري أو كويتي أو مغربي فإن القومية العربية هي الضمان الوحيد للمستقبل، وحتى يدرك البعض منهم ذلك...»[2]، وفي موقف آخر آيضا يظهر إعجابه بمدى جسارة أحد الباحثين « حين وصف ثم السادات والتعاون الأمريكي برنامج لتحطيم القومية العربية...»[3].

وهذا التركيز على مفهوم القومية العربية والدفاع عنها هو طريق لإثبات الهوية الضائعة إضافة إلى أن طبيعة البيئة التي تم من خلالها البحث عن الهوية وهي بيئة غريبة، ومن هنا يتضح مدى ارتباك الهوية.

[1] المصدر نفسه، 446- 447.

[2] المصدر السابق، ص 348.

[3] المصدر نفسه، ص407.

الفصل الثانـي

السمات المميزة في روايات صنع الله إبراهيم

1- توظيف التاريخ

2- الرؤية التهكمية الساخرة

3- تدوين الكتابة: (الشخصية المثقفة).

4- المراوغة السردية للزمن التاريخي.

5- المستويات اللغوية.

1- توظيف التاريخ:

تتسم أعمال "صنع الله إبراهيم" كلها تقريبا بأحداث تاريخية وألفاظ تاريخية، لأنه تقريبا في كل رواية يقدمها للقارئ كان يعطينا جانبا من الحقيقة بأسلوب توثيقي متمرد مناهض للواقع المعيش، مفارق للانسياق التاريخية المعهودة، لذلك جاء معجمه التاريخي متنوعًا يجمع مخزونا هائلا من الألفاظ التاريخية، ناهيك عما يعرضه من الأماكن التاريخية الموثقة، وكذلك التواريخ الخالدة ذات الخصوصية المعينة، وحتى الشخصيات التاريخية التي يضفي عليها ملامح تبدو كأنها تحف عجائبية، وكثيرًا ما يستعين الروائي "صنع الله إبراهيم" بالوثيقة أو الوقائع التاريخية يعيد خلف بناء فني خيالي تتحول فيه الوثيقة أو الواقعة إلى جزء لا يتجزأ من الخيال، ضمن ما يسمي بالرواية الوثائقية، لاستعانته بتوظيف الوثيقة أيا كانت (خطاب/ تسجيل صوتي/ أحداث مؤرشفة) وهكذا من أشكال الوثائق بمفهومها الواسع[1].

وهذا ما يسوقه لنا الخطاب الروائي عند "صنع الله إبراهيم" في كتابته لهذا النوع من الرواية، وهو ما تؤكده مختلف الدراسات التي حللت متونه" الروائية والتي تؤكد نقديا " أن تجربة الروائي "صنع الله إبراهيم" منذ أوائل نصوصه الروائية، حيث يَنْبِهُ صنع الله إبراهيم" إلى خلق توثيق لحالة من الحالات المدهشة، وربما أدخلنا بمبادرة أسلوبية في الجو العام الذي كانت تعيشه مصر تلك الحقبة التاريخية، وهو تصرف بلاغي اعتمده بطريقة لم تكن لتقلل من سردية "صنع الله إبراهيم" لتجربة الذاتية هذا الأمر الذي اتضح أكثر وصار شكلا ملازما لمعظم أعمال "صنع الله إبراهيم" بعد ذلك[2].

[1] محمد عبد الرحيم، يراجع الأسلوب الوثائقي في السرد الروائي، مجلة القدس، 29 أوت 2015، بدون صفحة.

[2] المرجع نفسه، بدون صفحة.

إن أساس الرواية ذات الشكل التاريخي عند "صنع الله إبراهيم" تكمن في القضاء التاريخي مثلما يمكن أن نلمسه في رواية " العمامة والقبعة" وغيرها تمثل أعمال إبداعية وأقوال إبداعية **يدل** روائية، لما تتميز به من مناورات أسلوبية مردها إلى الحس المتمرد الذي يغلب على وجدانه الجمالي والأدبي.

تعتبر الرواية في عالم اليوم وسيلة للتعبير عن القضايا والمواقف، فهي تسعي إلى إيصال الأفكار بث الايديولوجيات والفلسفات المعاصرة بما تحمله من الرؤى والتصورات والأحلام التي يسعى كاتبها إلى تبليغها لجمهوره وبذلك لم يعد دورها يقتصر على ما تقدمه من متعة فنية أو تسلية ذهبية[1]. ويعد التاريخ منهلا خصبا للروائيين، فهم يستمدون من أحداثه وشخصياته مادة لكتاباتهم الروائية، حيث لم تعد الأحداث والشخصيات التاريخية تشكل تلك الظواهر العابرة، التي تتلاشي مع الواقع، وإنما تحمل في طياتها الدلالات الشمولية التي تترسخ ببقائها، مع إمكانية تجددها وامتدادها عبر التاريخ بأشكال مختلفة[2].

وصنع الله إبراهيم كغيره من الكتاب الذين اتخذوا التراث والتاريخ مادة لنصوصهم الروائية ولجأوا إلى إعادة قراءة التاريخ في محاولة منه لتشريح الواقع ومحاكمته، فالتاريخ حسبه: «أمد الرواية العربية ببعض أجمل إبداعاتها، بمثل ما فعلت الأعمال التي نجحت في "تقطير" ليس فقط مرحلة معينة من التاريخ وإنما هي المسيرة الروحية الحافلة عبر العصور، وعبر العديد من

[1] محمد حلمي القاعود، الرواية الإسلامية المعاصرة–دراسة تطبيقية، دار العلم والإيمان، للنشر والتوزيع، دمشق–سوريا، ط1، 2000، ص 13.

[2] سعيد يقطين، النص الروائي، منشورات المركز الثقافي الغربي، الدار البيضاء–المغرب، ط1، 1989، ص81.

التراثيات»[1]. حيث أن الرواية عالجت وبشكل كبير أزمة المثقف، كما أنها هي المسيرة الروحية التي عالجت هموم المثقف وأزماته على مر العصور.

*** السرد بين السيرة الذاتية والتاريخ:**

ولعل إعادة التاريخ التي يتجها صنع الله إبراهيم" في رواياته هي التي تفسر الريبة التي ينظر إليها المثقف عموما إلى كتابه التاريخ وفق أهواء من كتبه، أو مدارة للسلطة. وهذا ما نجده في رواية " العمامة والقبة" حين يتقمص السارد الراوي دور المؤرخ:«يركز الشيخ في طياراته على الأحداث العامة ويتجنب الحديث عن الأمور الشخصية، قررت الأقلية وريت واقعي مع الجارية، دونت التاريخ الهجري ثم استبدلته بالتاريخ الميلادي» فالكاتب صنع الله إبراهيم في روايته هذه يؤكد على أن الأشياء البسطة التي يروايها المؤرخون- "أمثال الجبرتي"- لا تستحق الكتابة، هي التي تصنع التاريخي الحقيقي باعتبارات الأحداث الشخصية أكثر صدقا في الكتابة، فما كتبه المؤرخون الفرنسيون عن الحملة الفرنسية باعتبارها فتحا حضاريا، ينشر ظلمات الجمل في المشرق، تكذبه الاعترافات الشخصية لأحد قادتها **(دينون)** للراوي:« كنت أومن بأننا سعيد الحضارة إلى هذا البلد... لكننا لم نفعل شيئا حتي الأن سوى سمك الدماء وجمع الضرائب»[2].

فالكاتب ينطلق من مبدأ أهمية الوعي بالتاريخ، وتأثيره على الأجيال عبر الزمن، ذلك أن الوعي بالتاريخ الحاضر وبناء واقعنا المعاش إلى التأثير في المستقبل القريب»[3].

ويوظف "صنع الله إبراهيم" في رواية والقبعة شخصية (الكاتب، الراوي، الذي لم يضع له اسما، لينتقل القارئ إلى الفتنة الطائفية المتمثلة في الحرب الأهلية في لبنان، حيث يظهر الكاتب الراوي

[1] صنع الله إبراهيم: آخرون، ملتقى الروائيين العرب الأول، مهرجان قابس الدولي، قابس-تونس، /دار الحوار، اللاذقية-سوريا، ط1، 1993، ص 19.

[2] صنع الله إبراهيم: العمامة والقبعة، ط1، دار المستقبل الغربي، القاهرة-مصر، 2008، ص 20.

[3] محمد عمارة، الوعي بالتاريخ وصناعة التاريخ، دار رشاد للطباعة، مصر، ط1، 1997، ص 33.

لشاهد على الأحداث، محأولا الفيض على أسبابها، وغير بناء سددي لا يكتفي بأحداث منتمية إلى عالم التخييل، بل يتجاوزها إلى وقائع تاريخية سياسية واقعية، يضع الكاتب من خلالها القارئ في ورطة تجعله يستقر كل حواسه للإحاطة بالعلاقات التي تربط الواقع بالمتخيل، وإدراك تواشجاتها النصية ومدى علاقة الحاضر بالماضي «فالحاضر لا حكمة السير منفصلا من تلك الأيام المخولة في رحم التاريخ، والانبعاث والبحث عن المستقبل الأفضل التي يتحقق إلا بتقمص الماضي بوصفه تيارا يصب في الحاضر والمنظور تاريخي يمارس التاريخ، ولابد من رؤية الحاضر لمنظور تاريخي يمارس التاريخ دورب وصفه محفزًا على التجدد والانبعاث والبحث عن المستقبل الأفضل لن يتحقق إلا بتقمص الماضي بوصفه تيارًا يصب في الحاضر ويردفه بمكوناته[1].

وفي هذه الرواية يبدوا الراوي البطل وكأنه يوثق سيرة ذاتية حيث يغلب (الأنا) على كل أشكال السرد، فالقارئ لا يعرف عن أحداث الرواية وصفات الشخصيات الروائية إلا ما تزيد هذه (الأنا) أن يعرفه، وما يميز هذه الرواية هو أن شخصية الراوي بدون اسم لأن الكاتب يريد من القارئ أن يتقمص دور الراوي وهو يقرأ بضمير المتشكل، وذلك الشعور الذي يوهمه بالواقعية وينقله إلى داخل عوالم السرد ليساهم في تشكيل صورة أخرى للتاريخ ويدفعه إلى البحث عن ما وراء تلك الاضاءات التي تشني بها القراءة، وتستفز فيه ملكة التساؤل عن مبتغى الكاتب من إعادة كتابه التاريخ روائيا، الملاحظ عن "صنع الله إبراهيم" أن حضور التاريخ بأبعاده الواقعية والمتخيلة يتخذ شكل السيرة الذاتية، والذي عادة ما يمثله الراوي أو البطل الذي تعتبر حكايته النواة الأساسية للرواية»[2].

[1] سعد الله محمد غانم، أطياف النص، دراسات في النقد الإسلامي المعاصر، عالم الكتاب الحديث، عمان، ط1، 2000، ص13.

[2] حماد عطا نعيسة: في مشكلات السرد الروائي قراءة خلافية في عدد من النصوص والتجارب الروائية الغربية والعربية السورية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د، ط، دمشق–سوريا، 2001، ص 289.

وبذلك يخالف الأنساق التاريخية المعروفة، وفي الوقت نفسه يناهض الأسلوب الروائي المعهود.

*** السرد والتوثيق:**

–وفي سياق الحديث عن التاريخ يظهر ان الروائي"قد أعلن عن مصادره المعتمدة صراحة، وهذا من خلال الاحالات والهوامش، ففي روايته "العمامة والقبعة"والمخطط التالي يبين لنا اهم المراجع التي استمد منها الكاتب مادته التاريخية:

- عجائب الاثار في التراجم والاخبار "للجبرتي".
- مجلدات"وصف مصدر"التي وضعها علماء الحملة.
- دراسة الامريكي.ح. كريشوفرهيرالد الرائعة بونابرت في مصر.
- "عبد الله باك منير"لمحمد فؤاد شكري (1952).
- الحملة الفرنسية في مصر"هنري لورنس"ترجمة بشير السباعي.
- مذكرات الضابط هويه اعداد باتسي جمال الدين (2005).
- مذكرات الضابط مواريه (1984) ترجمة كاميليا صبحي (2000).
- الخطط التوفيقية لعلي مبارك طبعة (1969).
- تاريخ عبد الرحمنالرافعي (طبعة 1979)
- "ثقافة الطبقة الوسطى في مصر العثمانية"نيللي حنا، ترجمةرؤوف عباس (2004).
- "بيروت القاهرة"، ترجمة حليم طوسون (1993).
- "فصول من التاريخ الاجتماعي للقاهرة العثمانية"لاندريه ريمون (ترجمة زهير الشايب).
- الحرفيون والتجار في القاهرة في القرن الثام عشر لاندريه ريمون.
- وثائق ودراسات لذوة عبد الرحمن الجبرتي.

*** التسجيل والتخييل:**

إن الرواية الحديثة "مهمة لا تتمثل في الوعظ والارشاد والتعليم، كما هو االشأن في الرواية التقليدية بل تتمثل في تجسيد رؤية فنية، أي تفسير فني للعالم، والرؤية كشف جديد لعلاقات خفية ومن خلال هذا هذا الكشف الجديد تتولد المتعة أو التشويق والجاذبية[1]. ولأن الرواية " جنس مرن شديد المرونة يقبل التطورات المختلفة و الافادة من الأجناس الأخرى"[2] تدخل السرد بالشعر، والواقع باللاواقع ، والحقيقة بالخيال وتحولت الكتابة الروائية لتحاكم هذا الواقع وتساؤله من جهة ، ولترتقي بالقارئ من جهة أخرى، إذ يمكن للكاتب أن يكتب وفق قواعد نوع معين، لكن قدرته الابداعية تجعله قابلا لتطويرها و الابداع من داخلها، والارتقاء بها إلى مستوى أعلى يجعل القارئ يتفاعل معها وهو يحس أنه أمام نص مركب ولكنه قادرا على أن يرتفع بذواته إلى مكانة أسمى مما يمكن أن يجده في نصوص مماثلة(تنتمي إلى النوع نفسه)[3].

ويعد صنع الله ابراهيم من أبرز الروائيين الذين سلكوا هذا االنهج التوثيقي، كما سبق الذكر في أكثر من عمل روائي، إذ يتخذ من الخطاب التسجيلي التوثيقي للحقائق بديلا يدمر التخييل الروائي كي لا تبقى الرواية مجرد متخيل، فهو في كتاباته يريد أن تكون الرواية كشفا لحقائق تحظى بالإنكار الكاذب، والتبرير الزائف، هي حقائق المعاناة اليومية للإنسان البسيط في مصر في ظل منظومة سياسية لا تحقق له شيئا من أحلامه"[4] .واتبع الخط ذاته في رواية (أمريكانلي)، حيث تستند الرواية إلى جملة من الأحداث الخاصة والعامة، ذات أبعاد سياسية واجتماعية بشكل دقيق،

[1] شكري الماضي: أنماط الرواية العربية الجديدة، ص11.

[2] إدوارد خراط: انهيار الحواجز الأدبية، مجلة العربي، العدد 446، يناير1996، ص42.

[3] سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية الجديدة (الوجود والحدود)، الدار العربية للعلوم ناشرون، القاهرة–مصر، 2012، ص116.

[4] توفيق مجدي: الرواية المعاصرة –قراءة جديدة، الهلال، فبراير، 2008، ص68.

وكثيرا ما يظهر ذلك في صورة توثيق علمي على الهامش، وهو ما يجعلها محملة ببنية معرفية ثقافية ضخمة مؤطرة بنسبة جمالية فنية.

ولعل رواية (أمريكانلي) ترجع إلى هذه البنية التي تمزج الواقع والمتخيل في معادلة ليس من السهل تحقيقها ذلك أن الخيال" لا يستطيع أن يجمع بين بعدي اللغة والاشارة المرجعية في لحظة واحدة إذ يجب على واحدة منهما أن تتخلى على مكان الصدارة، فإما أن تبرز اللغة فتسود الأدبية أو ما يسميه "تودوروف" الحرفية.

أي تركيز الضوء على عمليات الكتابة نفسهاو تتألق الشاعرية، وإما أن تكتفي اللغة بوظيفتها التقريرية المألوفة بوصفها أداة توصيل وإخبار فيغلب التصور الخارجي ولا نلتفت إلى الحضور المادي لطبيعتها المشكلة للنص، لكن يبقى مع ذلك أن كل نص أدبي هو بالضرورة مجال صراع بين هاذين البعدين، ومن ثم تميل الأدبية إلى خصوصية الخطاب الأدبي إلى التحقق كلما ساد بعد اللغة، كما تميل إلى الزوال كلما ساد البعد التصويري أو المرجحي"[1]. ولذا كان على كاتب الرواية التسجيلية أن يرصد الواقع ويوثق التاريخ دون أن يفقد النص الروائي أدبيته وبحيث يظل التخييل هو حجز الرواية الذي ينبني عنه العمل الروائي.

تدور أحداث رواية (أمريكانلي) حول أستاذ جامعي (شكري) يتم إستدعاؤه في معهد (التاريخ المقارن) بمدينة سان فرانسيسكو،"لتدريس محاضرات مقترحة حول دراسة نشاط مؤرخ عربي معاصر قضى أكثر من ثلاثين سنة في المهنة، وتتبع العوامل التي ساهمت في توجيهه إلى دراسة التاريخ، وإعتماده منهجا معينا في أبحاثه ثم محاولة تقويم هذا المنهج وتقدير نصيبه من النجاح والفشل"[2].

[1] جان ريكاردو، نقلا: عن محمد علي الكردي، إشكالية الكتابة في الرواية الجديدة، ص79-80.

[2] صنع الله ابراهيم: أمريكانلي، ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة-مصر،2003، ص: 34-33.

(أمريكانلي) أشبه برحلة استكشافية جديدة لتاريخ مصر بدءا من الفراعنة مرورا بالغزاة والفاتحين، وصولا إلى العصر الحديث والحروب والأزمات التي عصفت بها مثل نكسة 1967، وحرب أكتوبر 1973م، ثم سياسة الانفتاح على العرب، وتغيير المنظومة الفكرية للمجتمع المصري وانحرافه نحو ثقافة الاستهلاك، ومظاهر الرياء، تراجع حريات التفكير، عارضا هذه التغييرات عبر سلسلة من المقارنات التي يعقدها بين المجتمع المصري والمجتمعات الأخرى المتقدمة، وهو إذ يقدم تجربته الشخصية ورؤيته التاريخية الخاصة يؤكد على ضرورة الاستعانة بالعلوم الأخرى في تحقيق الأحداث التاريخية وضرورة قراءة الظواهر التاريخية قراءة شمولية:"قلت إن شهيتي تفتحت بعد ذلك للبحث فانتقلت إلى موضوع آخر طالما خايلني، فكلما عثرت بصورة لإحدى الأيفونات القبطية المعروفة ب(وجوه الغيوم) وتأملت عيونها الواسعة تساءلت عن السر، هل هو ماشهدته من فضائح وأهوال أم أن الأمر لا يتجاوز حالة مرضية مرتبطة بنشاط الغدة الدرقية الذي يتأثر بنسبة تواجد مادة اليود في الطبيعة؟ أو أنه مجرد إتجاه في الفن؟ وضعت خطة للبحث في عدة مجالات: الطب والجيولوجيا وتاريخ الفن فضلا عن التاريخ السياسي"[1].

وقدكان لهذا التوجه حضوره في إثارة طلبته الأمريكيين المخدرين من خلفيات ثقافية وعرقية متنوعة دفعهم إلى الحوار والإختلاف معه في أحيان كثيرة.

نجد أن الراوي عندما يكتب سيرته يقف مطولا عند تفاصيل الحياة الأمريكية خارج قاعة الدرس ليقدم تصورا كاملا للمجتمع الأمريكي، من خلال تجواله في أحياء المهمشين والمثليين المهاجرين" فكأنما بإزاء عالم الدمى، وليس بني البشر، فالسرد لا يكشف العمق الانساني للشخصيات وإنما يرصد فقط علاقاتهم الخارجية القائمة على المنافع، ويخيم الجمود العام على

[1] المصدر السابق، ص340.

المدينة فمنظور الراوي يشغل بالجفاف والعزلة والشوارع الفارغة، ويجسم الخوف في أحياء الشاذين والمثليين متعاطي المخدرات"[1].

إلى الربع و5 مليون داخل السجون، رأيت؟ هل تعرف النسبة بين أدنى أجر وأعلاه داخل المؤسسة الواحدة إلى مائة وعشرون ؟"[2]. وهو ما يجعله يختم روايته بمشهد غامض يصور حالة القلق والخوف التي سيطرت عليه في المجتمع الأمريكي، والتي لا تختلف كثيرا عن الخالة التي عاشها في مصر حين كان مهددا بالقتل، وهو بهذا يبين عن رؤية خاصة لمسيرة المجتمعات الانسانية، رؤية تقرأ التاريخ الراهن على نحو متشائم.

ومن خلال ماسبق يمكن أن نخلص إلى طبيعة البناء السردي لهذه الرواية من خلال خطابين:

خطاب تخييلي ذاتي: يحكيفيه المحاضر بضمير المتكلم سيرته الأكاديمية والشخصية والاحباطات التي تعرض لها. والسارد في (أمريكانلي) هو الموجه الأول والرئيسي للسرد.

خطاب تسجيلي موضوعي: "حيث يبد و الفكر متعاليا على ديكور الكلمات"[3].

وفق تعبير رولان بارت، يعتمد فيه السارد على الوصف الموضوعي والقيق للحياة اليومية للمواطن الأمريكي ويقدم أرشيفا متنوعا من الوثائق والمقالات السياسية والعلمية.

وعلى الرغم من أن الرواية عمل تخييلي بالدرجة الأولى، إلا أن الحطابان يتجاوبان في النص بنفسية عالية، بحيث لا يشعر المتلقي بتطفل وثقل الخطاب التسجيلي المتصف

[1] أنظر: عبد الله ابراهيم: أمريكانلي بين السيرة والسرد التسجيلي، صحيفة الرياض السعودية، الخميس 12رجب1428هـ-26يوليو 2007م، العدد 676، ص 142.

[2] صنع الله ابراهيم: أمريكانلي، ص247.

[3] رولان بارت: الكتابة في درجة الصفر، تر: محمد نديم خشفة، مركز الأنماء الحضاري، ط1،2002، ص 10.

بالموضوعية والعلمية، فحين يطول الخطاب التوثيقي نجد تدخلا سريعا للخطاب التخييلي يعيد المتلقي إلى جمالية النص الابداعي، وهي إحدى حيل الكتابة التي تدفع المتلقي إلى التصديق والتسليم التام بما سيفضي إليه العمل الروائي الذي يقود النص ويتحكم به حيث يشكل "المرجعي عادة حيز الواقع الوقائعي الحقيقي، في حين يشكل الخيالي حيز الرغبة أو حيز الصورة المتخيلة في الخيال والذي تنزع الرغبة إلى تحقيقه أي إلى جعله واقعا روائيا حقيقيا"[1]، فإذا كانت وظيفة التسجيل هي الوصف ، فإن وظيفة التخييل هي التأثير المتخيل الذي ينشد من خلال إندراجه في الجنس الروائي يتحاذبه قطبان قد يبدوان على طرفي نقيض: إلى الجنس بالذات، فإن الأمر في الحالتين يتعلق بطبيعة النظام السائد الذي تتحكم به عصابات المصالح، وتحاك فيه كواليسه أبشع الجرائم، عدت إلى مقعدي وواجهت نفسي بصراحة وأمسكت بالقلم وملأت الدرجة الثانية أمام اسمها"[2]، فنجد علاقة التاريخ بالمرأة هي الوجه الآخر في علاقته المأزومة التي تصور رؤيته التاريخية.

يولد التقاطع بين الخطاب التسجيلي والخطاب المتخيل حركة وحيوية وتفاعلا في البنية السردية هو تقاطع من شأنه أن يضيء نقا ط معتمة في الأحداث الموثقة من خلال مقابلتها بالخطاب المتخيل، وكذلك الأمر بالنسبة للمتخيل الذي سيكتب بدوره معان جديدة وأبعادا إشارية دالة من خلال معاينتها للواقع المسجل.

*** السيرة الذاتية:**

وفي سياق الحديث عن هذه المزاربة نجد السرد في هذه الرواية يعتمد على الشكل الفني للسيرة الذاتية فالراوي وهو الشخصية الرئيسية يحكي سيرته الذاتية بضمير المتكلم، ساعيا إلى مايطمح إليه كتاب السيرة الذاتية و اليوميات من إعادة قراءة الذات والبحث عن معنى الحياة

[1] يمني العيد: فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتمييز الخطاب، ط1، دار الآداب، بيروت–لبنان، 1998، ص94.
[2] صنع الله ابراهيم: أمريكانلي، ص473.

متحركا بين عالمي الذات والموضوع، وبقدر اختفاء هذه الرواية بالواقع نجدها تختفي بالخيال، ففي حين كان الخطاب النسجيلي مهتما بحكاية الأحداث التاريخية والتوثيق لها نجد الخطاب السيرذاتي للبطل الروائي يربطها بحكاية الجنس والمرأة، فقد عملت علاقته المأزوم بالمرأة على توجيه رؤيته التاريخية وتشكيلها، فعلى إمتداد السرد نجد أن علاقة السارد بالتاريخ هي الوجه الآخر لعلاقته بالمرأة، وكأن العلاقة بينهما شرطية أحدهما سيستدعس الآخر فمنذ أن كان صغيرا إرتبط لحظة الكشف التاريخي لديه بلحظة كشف الجسد الأنثوي الذي طالما أخفق في إختراقه فيما بعد "كنت أقلب صفحات المجلة وجدت موضوعا عن جريمة أخرى أكثر حداثة مصورة بالرسوم، وألفيتني أمام لا إمرأة عارية بل عشرات من النساء كاملات العري، فهمت من الموضوع أن النساء فلسطسنيات من أهالي قرية (ديرياسين) قامت العصابات الصهيونية بقيادة (مناجيم بيجن) بتجريد جسدهن من ثيابهن ووضعهن على ظهر شاحنة عسكرية طافت بهن أنحاء القرية قبل أن يتم إغتصابهن ثم ذبحهن، أخيرا تجسد لي الجسد الأنثوي في تمامه وحدث الارتباط في رأسي الصغير لابين الجنس والقتل، وإنما بين البحث عن المرأة والبحث عن التاريخ.[1]

وهذا الارتباط بين المرأة والتاريخ سنجده على امتداد الرواية حتى أن الموضوع رسالة الماجستير الذي إنتهى إليه بعد عدة إخفاقات هو تحقيق لمخطوط سبق وأن حقق هو (المردفات من قريش لأبي الحسن علي بن محمد المدائي)، وقد اهتم فيه بدراسة ماتكشف عنه المخطوطة من التغييرات طرأت على المجتمع القريشي من خلال تتبعه لقصص سيدات قريش اللواتي ارتبطن بقادة وزعماء الفتوحات الاسلامية، ظاهرة أخرى كانت هي تتابع حلقة ضيقة من الشخصيات البارزة –من قادة وزعماء وولاة بل خلفاء–على مجموعة محددة من نساء قريش أردت أن أستكشف

[1] المصدر السابق، ص80.

الدافع: هل هو النخوة:(في حالة الأرامل) أو الشهوة أو العصبية أو المظهرية أو القبلية أو المنفعة في (حالة الوارثات)[1] .

ولا يتوانى(شكري) عن سرد سيرته الذاتية وعلاقاته المتعثرة مع المرأة، التي كانت دائما تنتهي بالاحباط والفشل رغم كل محأولاته، وهذا الربط ما بين فشل علاقاته السنوية والتاريخ لم يكن بريئا بل هو إشارة لحالة الاحباط التي عايشها في قراءته للتاريخ، وهو ما أكده في واقعة الفتاة التي دفعتها الحاجة إلى العمل في تنظيف المنازل لإعالة أسرتها الكبيرة ومن ثم فشله في إقامة علاقة معها رغم عدم ممانعتها:"وحانت اللحظة عندما شرعت في تنظيف مكتبتي وساعتها في انزال مجلدات سليم حسن والرفاعي...انفقرت أمامي فوهة التاريخ في قاعها الغرفة المكدسة بأفراد العائلة وفقدت اتنتصابي في الحال"[2]، وهو ماتكرر معه أخرى حين تذكر نجلاء التي فشل في إقامة علاقة جسدية معها فانتقمت منه بأن رفضت ترقيته إلى درجة أستاذ بحجة أن انتاجه العلمي ضعيف:"ورقدت إلى جوارها أتأمل السقف وأتسأأل عن جدول التاريخ فإبتعدت عني غاضبة "[3].

يتكرر ارتباط الجنس بالتاريخ في سيرته الشخصية والأكاديمية فسؤال التاريخ يضل مقرونا لديه بسؤال الجنس الذي ارتبط عنده بالملكة الفرعونية حتشسبوت منذ ان كان في العاشرة من عمره:"من الطبيعي أني سعيت لغستكناه اللغز وبدأت من البداية كما يقولون فعندما فتنتني صورة لوجه ملكة فرعونية فضيت ساعات طويلة في رسم شفتيها، وأيا كان النجاح الذي حققته فإنه لم يشفي غليلي"[4].

[1] المصدر نفسه، ص209.

[2] المصدر السابق، ص399.

[3] المصدر نفسه، ص369.

[4] المصدر نفسه، ص78.

واستمر في بحثه الطويل عنها طوال رحته الاكاديمية: "كنت ابعث عنها بعد ثلاثة ألف وخمسمائة سنة من إختفائها ولم يكن الامر السهل، فقد تجاهلتها القوائم الملكية فلم يعثر على مومياتها وحطمت أغلب تماثيلها وأزيلت آثارها حتى رامسيس الثاني أضاف لها عضوا ذكريا في نقش يصورها طفلة حتى لا يخطر ببال أحد وجود إمرأة بين الفراعين فهل كان جنسها هو سبب العداء الذي واجهته؟ كان هذا اول ما تبادرإلى ذهني..."[1].حيث يظل(شكري) مهووسا بهذه الشخصية وبشكل خاص في " بحثه عن جزئها السفلي في المنحوتة المفقودة التي تفرعت أجزاء جسدها في عدة متاحف دولية"[2] وتستمر عملية البحث عن هذه المنحوتة:" نجحت المؤامرة على اسم حتشبسوت مئات السنين حتى أوشكت أن تختفي تماما ثم تجلت حقيقتها تدريجيا في الكشوف المتعاقبة، وظهر صدر هذا التمثال سنة 1869م في متحف أو دهيدين بمدينة لايدن الهندلدية، ثم عثرت بعثة متحف المتروبوليتان على أجواء أخرى منه قرب معبد الدير البحري في أوائل العشرينيات القرن الماضي، وقام المتحف أخيرا بتجميع أجزاءه وإنتصر التاريخ"[3]. ويتدرج الحديث عن اسم حتشسبوت من بداية الرواية حتى الثلث الأخير منها حيث تتجلى له الحقيقة التاريخية الكاملة مرتبطة بالكشف الجسدي لحتشسبوت حيث على التمثال كاملا مصادقة في أحد متاحف نيويورك: " عثرت أخيرا على التمثال الكامل للجميلة كانت من الجرانيت الأحمر ويصور حتشسبوت في حجمها الطبيعي جالسة فوق العرش، ويداها فوق فخذيها، تأملت قوامها الممشوق الذي غطاه رداء نسائي حتى قدميها، ثم رفعت عيني إلى الوجه الباسم الذي أحاط به غطاء الرأس الملكي، والفم العريض الذي فتنني منذ الصغر،بدا نهداها مستديرين ومتباعدين وبطنها جميلة التكوين ذات لمسة حسية واضحة هل أرادت حقا أن تكون رجلا؟"[4]. هذا الارتباط الواضح بين التاريخ والذات،

[1] المصدر نفسه، ص102.

[2] المصدر نفسه، ص 104.

[3] المصدر السابق، ص296.

[4] المصدر نفسه، ص 296.

بين العموية والجسد، هو الذي شكل وعي البطل وهويته الخاصة القلقة فسيرة البطل التي تستعبد تحاربه الجسدية بكل جرأة وصراحة وهو سسه الجنسي ماهو في واقع الأمر إلا تجسيد لواقع عربي، وهوية عربية قلقة زمحبطة تحلم بالانفقاق الجسدي والروحي وتبقى حبيسة عجزها عن فعل حقيقي ما، حيث يتحول الجسد إلى رمز يتحاور به الكاتب سلطة المحرم والقمع ولكنه في اللحظة التي يحاول فيها إثبات رجولته نجده يرتد محبطا، وهي لحظات يستعيدها السارد بإعتبارها ذكريات وتجارب فاشلة توازي فشل التجربة التاريخية، وتتقاطع حالة القلق والرعب في المحكي التخييلي مع المحكي التسجيلي يطالعنا في الصفحة الأولى من الرواية:" أغلقت الراديو وأحكمت إغلاق النافذة المطلة على حديقة المنزل المجاور، إنتقلت إلى الغرفة المطلة على الشارع فتأكدت من إغلاق نوافذها، ثم حملت كيس القمامة في يد وكيس الفوارغ الزجاجية في الأخرى، ومضيت إلى باب المسكن وضعت حملي على الأرض وأزلت السلسلة الحديدية ثم أخرجت سلسلة مفاتيحي وانتقيت مفتاح القفل الأعلى ومفتاح القفل الأسفل"[1].وقريبا من هذا تنغلق الرواية على حالة من التوجس والخوف تسيطر على الأستاذ في جامعته:"مضيت في الطرق المظلمة وأنا أتلفت خلفي، توقفت على ركن البريد ووضعت المظروف الذي يحتويعلى كشف الدرجات في الصندوق (شاوديك)ثم اتجهت إلى الدرج، ألقيت نظرة أخيرة على الطرقة وخيل إلى أني لمحت شخصا في نهايتها، وتناهي إلى سمعي الأزير الذي سمعته من قبل أو خيل إلي، لم أتلكأ وهبطت الدرج مسرعا وكدت أتعثر وأنا استخرج سلسلة المفاتيح من جيبي، بحثت عن مفتاح الباب الخارجي وأعددته في يدي فلم أكن واثقا من أني سأجده مفتوحا كما تركته"[2] وهي صورة يلح على إثباتها في تسجيله واقع الحياة الأمريكية اليومية. "قلت: هناك لافتة في المظاهرة تطالب بوقف القتل، ماذا يقصدون؟ قالت: وهي تدلف إلى شارع آخر، ألم تقرأ في الصحف عن السفاح الذي يتعقب

[1] المصدر السابق، ص296.

[2] المصدر نفسه، ص:482-483.

المشردين ويذبحهم من أعناقهم أثناء نومهم في مداخل البيوت"[1].وتتقاطع علاقته مع طالبته الجامعية الأمريكية في المحكي المتخيل مع علاقة (كلينتون) بمتدربة البيت الأبيض (مونيكا) في المحكي التسجيلي، بحيث تشكل هذه العلاقة جزءا مهما من بنية الرواية." وفي كلتا العلاقتين– النتخيلة والواقعية– ظن لظلوع الموساة: "كلينتون يريد أن يدخل التاريخ بصفة صانع السلام، ويريد أيضا الحصول على جائزة نوبل فهو يحب الفلوس، في الصيف الماضي أعلن أنه أعد خطة للسلام، ويبدو أنها لم تعجب الاسرائليين أو أنه لم يستشرهم في بعض التفاصيل، المهم أنه قبل الان الخطة بساعات انفجرت قصة مونيكا، وتهدم بنيان الفضائح فوق رأسه حتى أصبح عاجزا عن إتخاذ أي قرار"[2]. ثم يورد في الهامش تقريرا مطولا يكشف فضيحة كلينتون مع مونيكا وهي وثيقة تؤكد هذه "المزاعم إذ تتداخل الوثيقة مع الفعل الروائي عندما تصبح جزءا منه، أو بشكل آخر عندما تعود الوثيقة ذاتها إلى الفعل الروائي وتندمج فيه"[3]، وتشكل جزءا مهما في فهم الملتقى علاقة (شكري) بطالبته الأمريكية، وكثيرا ما يستحضر (شكري) مع طالبته (شرلي) تفاصيل هذه الفضيحة في غمرة لقائها الجنسي الذي لم يكتمل بسبب حالة الخوف الذي تنتابه: "وعندما أوشكت أن تلمسني إنتابني هلع مفاجئ جذبت جسمي بعيدا وانتفضت واقفا فوقعت على ظهرها"[4]حين هم بإعطائها الدرجة الأولى: "فكرت أن القضية تتعدى مجال الأخلاق إلى السياسة فيصرف النظر عن التغيير الايجابي في النظرة إلى الجنس بالذات فإن الأمر في الحالتين يتعلق بطبيعة النظام السائد الذي تتحكم به عصابات المصالح، وتحاك فيه كواليسه أبشع الجرائم، عدت إلى مقعدي وواجهت نفسي بصراحة أمسكت بالقلم وملأت الدرجة الثانية أمام أسمها"[5].

[1] المصدر نفسه، ص 245.

[2] المصدر السابق، ص 62.

[3] نبيل سليمان: المنعطف الروائي الجديد للرواية العربية، أبحاث وشهادات، الآداب، ع7/8، تموزآب، 1997، ص 34.

[4] صنع الله ابراهيم: أمريكانلي، ص 467.

[5] المصدر نفسه، ص 473.

2-الرؤية التهكمية الساخرة:

تعد السخرية من الإبداعات الأدبية التي استخدمت في الأدب العصور السابقة حتى الآن، بضنها المتلقي الاستهزاء بقصد الحط من شأن الآخر، ولكن الأصح أنها لا تستخدم لتلبية الأهواء النفسية كالدعاية والضحك فحسب بل لتبين للمتلقي الوضع الاجتماعي و السياسي والثقافي الذي عاشه المؤلف وعانى منها المجتمع، ولاستخدام هذه أسباب كثيرة من أهمها تكميم الأفراد حيث لا يستطيع الأديب أن ينتقد ما يراه من ظلم وخطأ أو سياسة فاشلة بالعلن، فعندئذ يتخذ السخرية وسيلة لتغيير عما يريد وفي أحيان أخرى يصل الأمر إلى منتهاه ويبلغ السيل الزبى حيث لا يأبى الأديب الخوف من شيء بل يكرس كافة طاقاته ومساعي جهده كي يعبر عن آلامه وأوجاع مجتمعه ليلفت نظر الجميع وهذا هو السبب الرئيسي لاستخدام النمط الساخر.

إن مفهوم السخرية ظل مقترنا بمفاهيم عديدة ، كالفكاهة والتهكم و الاستهزاء والهزل التي تصب في قالب واحد وهو المرح، ولكن بإقتران هذا المصطلح بالأدب أصبح الهدف عكس ذلك لأن الأديب والشاعر يهدف من خلال أسلوب السخرية إلى ثقل معاناة المجتمع إلى القارئ ومحاولة اصلاح المجتمع والتعبير عن معاناة المواطن من خلال إبداعه الأدبي فأضحت بذلك "السخرية محاولة لطيفة مهذبة الغرض منها تطهير الحياة والمجتمع من الظواهر السلبية التي تجانب التطور وتناهض الحركة نحو المستقبل ...فهي على هذا النحو عمل ايجابي بناءا تبحث عليه الحياة ودوافعها الكاملة في ذات الانسان "[1].

فالسخرية هي بمثابة السلاح الذي يدافع به الأديب في الواجهة كل من يقف أمام تطوره وتطور المجتمع وحياة الانسان سواءا الاجتماعية أو الثقافية ،وهي تؤدي دورا مهما في الأدب

[1]- حامد عبده الصوال: السخرية في ادب المازني، الهيئة المصرية العامة للكاتب، دط، مصر،1982، ص30.

،فالاديب يوصل فكرته ورسالته بطريقة راقية وصادقة وفنية تحت غطاء السخرية، "ان الهدف الاول للأديب الساخر هو هدف تصحيحي سواءا على المستوى الأخلاقي أو المستوى الجمالي ويختلف في منهجه أو أساليبه عن كل أساليب التعبير الأخرى التي تهدف إلى الرفض أو التقليل من شأن الموضوع المطروح لسهام الكاتب أو المتحدث بأسلوب مباشر وأحيانا فج".[1]

فباستعمال أسلوب السخرية يستطيع الكاتب أن يؤثر على القارئ من خلال موضوعه يقلل من النقد أو التصور عكس الأساليب الأخرى "ان الانسان الساخر انسان نشيط وعبقري، ومعتز بحياته وأخ للأحباب أمثاله وهذا نتماء الواعي يكسبه قوة كبيرة، وقدرة خلاقة على منح الحياة كل اهتماماته وكل امكانياته على النقد والمعارضة والمقارنة والمقاومة والكفاح"،فالسخرية تحتاج إلى قدر من الذكاء وقدرة كبيرة على اللعب بالألفاظ والتلميح والهمز واللمز فالأديب مثلا أو الشاعر أو الساخر هو إنسان بديع وعبقري بطبعه له قدرة على التأثير في العقول من خلال ذلك يوصل فكرته أو هدفه من السخرية بطريقة راقية.

في عصرنا الحديث فقد عرف الأدب العربي قدرا كبير من الأعمال الأدبية وخاصة الشرية منها بتناول السخرية كأسلوب في كتاباتهم للتعبير عن الأوضاع الثقافية والسياسية والاجتماعية وتصوير المجتمع ومعاناة الشعب بطريقة ساخرة من خلال تلك الأعمال كمسرحيات والمقالات والروايات وغيرها من الأعمال الشرية .حفل الأدب العربي الحديث بدوره بالصورة لأن هذا الاسلوب لم يكن لتوجده ظروف الأمن والاستقرار التي يستطيعها الانسان فتجعله ينعم بالرضا وراحة البال فقد كان للمواطن العربي مشاكل عديدة نابعة من تكوينه المجتمع العربي الذي تسوده المفارقات والصراعات السياسية والاجتماعية كما عانى ويلات الاشهار الاجنبي من قتل ونهب"[2].

[1]– نبيل راغب: الادبالساخر، الاعمال الخاصة مهرجان القاهرة للجميع، دط مصر،2000، ص10.

[2]– ينظر: شمس واقف زادة"الادب الساخر وانواعه وتطوره على مدى العصور"فصيلة دراسات الادب المعاصر"العدد12، ص:118-119.

قد لجأ "صنع اللع إبراهيم" في مجموعة رواياته الى هذا الاسلوب من السخرية، إذ يمكن أن نعتبرها تقنية من تقنيات التي يستعملها من أجل التعبير عن الوضع الذي يعيشه العالم العربي عامتا والمجتمع المصري على وجه الخصوص، فقد اعتمد كاتبنا هذا الأسلوب من السخرية من خلال وصفه الشئ على أنه عظيم، ولكن في المقابل يلحظ سخرية خفيفة والغرض منها التحقير والذم لا المدح والتعظيم ومثال ذلك ماوجدناه في رواية "اللجنة" وهنا يمكن أن نشير أن الرويات الاخرى لم تلاحظ وجود هذه التقنية بشكل واضح وعليه انطلقنا من وراية "اللجنة" مركزين على استخراج هذه التقنية والتفصيل فيها.

*** السخرية في رواية "اللجنة":**

لقد اعتمد صنع الله ابراهيم في هذه الرواية على السخرية من أجل ابراز الظلم والاهانة والاستبداد التي يعاني منها المثقف العربي وذلك من خلال توقير "اللجنة " وتعظيمه زجاجة الكوكاكولا بإضافة إلى شخصية الدكتور التي أطال الحديث عنهامن طرف الدكتور" مهلا أيها السادة لم أقصد أنني عاجز على الاجابة عن السؤال لجنتكم الموقرة، وإنما أردت أن أقول أن الاجابة ليست ماذكرت لكم من الاسماء " [1].

وهنا نلاحظ خوف وتعظيم وتقدير كبير من طرف الراوي لتلك اللجنة ولكن الكاتب يرمي إلى السخرية الضمنية وتحقير أعضاء هذه اللجنة الملعونة، أما بالنسبة لزجاجة الكوكاكولا التي طال الحديث عنها نجده يقول " لن نجد أيها السادة بين كل ماذكرت شئ تتجسد فيه حضارة هذا القرن ومنجزاته بل أفاقه مثل هذه الزجاجة الصغيرة الرشيقة التي تتسع كل انسان لرأسها الرفيعة"[2]، "ولا شك أن نجاح الكوكاكولا يرجع أساسا إلى حسن التنظيم الذي ابتكرت له منذ البداية الشكل الهرمي،

[1]– صنع الله ابراهيم: اللجنة، ص20–23.

[2]– المصدر نفسه، ص41.

حيث توجد الشركات الأصلية في القمة وتتابع تحتها حتى القاعدة شركات مشغلة تتولى التعبئة والتوزيع.....وأتاح لها أخيرا أن تغزوا العالم" [1] وهنا كذلك معالجة لشئ الحقير على أنه عظيم فالراوي كما ذكرنا سابقا تطرق إلى موضوع الكوكاكولا على سبيل السخرية من الانفتاح الاقتصادي في مصر ودول العالم الثالث واستهلاكهم وتعظيمهم للمنتوجات الأجنبية لذلك فإن غرض الراوي هو التحقير وليس التعظيم.

اضافة إلى أن الراوي قام بسخرية على الأطباء والمهندسين وغيرهم من الطبقة العامة والمتعلمة في المجتمع المصري، الذين اهتموا بجمع المال ولم ينفعو المجتمع بعلمهم وعملهم" وأكتشفت أن أغلب العلماء والأطباء والفنانين والمهندسين والمدرسين وأساتذة الجامعات كانوا مشغولين بجمع المال عن القيام بعمل واحد من شأنه أن يضعه في دائرة الضوء أو بالقرب منها حقا أن حيث من هاجر من طبق الأفاق بما يحقق من كشف أو ابتكار في مجاله رغما شك أن الأمر كثر من الحالات لايتعدى الدعاية المتفاعلة"[2]

كما قام بسخرية والتهكم بالراقصات الذين لهم شهرة كبيرة في المجتمع المصري وحضور في صفحات المجلات والجرائد " ولم يبق غير الراقصات اللاتي تظهر صورهن في الصحف كل يوم ويأتي الاستمتاع بمشاهدتهن في الملاهي المتناثرة تحت سفح الأهرامات العتيدة آلاف المبحوثين المتعطشين إلى المعرفة من مختلف أركان الوطن العربي "[3]

كل هذ النماذج استخدمها الكاتب بحسرة من أجل السخرية من الوضع السائد للمجتمع المصري والفساد الأخلاقي وغياب الانسانية وعنف الواقع وأهم شئ إهمال المثقف مستعينا بأسلوب هزلي تهكمي، وأنما أهم ملاحظة قد تخطر على كل من يقرأ الرواية الصور (الكاريكاتورية) "ومن

[1]– المصدر نفسه، ن.ص.

[2]–المصدر السابق، ص37.

[3]–المصدر نفسه، ص38.

صور السخرية، التصوير المبالغ فيه (الكاريكاتوري) وهو وضع الشخص في صورة مضحكة كالمباغة في تصوير عضو من أعضاء الجسم، ومحاولة تشويه إلى حد ما بحيث يجعل الشخص كأنه لايدرك أو يعرف إلا بهذا العيب الذي جسده وكبره ومنها السخرية عن طريق الثورية والسخرية الترابيدية وهي العبقرية التي تجعل شخصا من الأشخاص يستعمل ألفاظا تعني شيئا ما بالنسبة إليه وشيئا آخر بالنسبة لنللنظارة العارفين بالحقيقة كمن يقول لأعدائه مقدما إليه طعاما مسمةما طعاما هنيئا ياسادة"[1] . وقد مثلت رواية اللجنة نموذجا ممتازا للسخرية الكاريكاتورية والتهكم وهي من بين الأساليب التي وصفها الراوي في روايته ومثال ذلك أسلوبه وتصويره الهزلي لأعضاء اللجنة " **عجوز تهالك ذو عوينات تعلقت عيناي بشفتي العجوز وبدا وجهه الشاحب أبعد لي مايكون عن الحياة**"

"**أشقر الشعر ملون العينين**"

"**رجل بدين يرتدي سترة بيضاء ويضع ساقا على ساق رافعا رأسه إلى أعلى محدقا إلى السقف كأنه ليس معنا**"

"**عندئذ مال أحد العسكريين، الذي كاد وجهه يختفي تماما خلف عوينات سواد كبير**"[2].

فهذه الصفات الخلقية تعوض الاسماء وتجعل الإحالة على أعضاء اللجنة بهذه الصفات وسيلة من وسائل السخرية، كما يهدف بذلك إثارة إنتباه القارئ.

يمكن أن نعود إلى الصورة الكاريكاتورية التي استعملها صنع الله ابراهيم في روايته التي نجدها في غلاف الكتاب أو نجدها داخل الرواية، فتبدي هذه الصورة معالم تشوهية وكريهة تعتمد القبح والمسخ الذي يضع القارئ منذ الوهلة الأولى أمام عالم يستمد دلالته من تقاسيم الوجه القبيح

[1]– انظر، محمد نعمان طه: السخرية في الادب العربي، ط1، دارالتوفيقية، مصر،1987، ص:30.

[2]– صنع الله إبراهيم: اللجنة، ص11–15.

وتشوهات الجسد وغرابة المكان. فتنشأ تلك النظرة السيئة على أعضاء اللجنة من طرف القارئ والناظر إلى تلك الصور وهنا أراد صنع الله ابراهيم السخرية من أعضائها بطريقة مختلفة جمعهم فيها مع حيونات تقشعر لهم الأبدان.

أما الصورة التي مثلت شخصا عاريا فهي تعبر عن شخصية الراوي وعلى إهانة هذه اللجنة واستقرارها له بالإضافة إلى التمرد على حقوق الإنسان وعلى رأسهم المثقف العربي على وجه الخصوص وانعدام الأخلاق الانسانية التي كان من المفترض أن تتحلى بها أعضاء هذه اللجنة بإعتبارهم مثقفون من نوع خاص.

أما الصورة التي جمعت رئيس اللجنة العجوز بالبومة التي هي رمز الماسونية فهي تمثل وجه اللجنة الديني إضافة إلى أنها رمز للتمرد والسيطرة والتشاؤم الذي حل بالعالم العربي وبالمثقف العربي فهو شؤم لا مهرب منه رغم كل محأولات هذه الطبقة الخروج من هذا الوضع المدمر الذي لحق بهم بسبب سيطرة الغرب على كل تفاصيل حياتهم.

3- تدوين الكتابة (الشخصية المثقفة):

تحتل الشخصية مركزا مرموقا في الرواية، حيث تمتد منها وإليها جميع العناصر النفسية في الرواية، وتعد بمثابة العمود الفقري القصة، وقد جاء في معظم مصلحات نقد الرواية في تعريفها بأنها« كل متشارك في أحداث الحكاية سلبيا أو إيجابيا، اما من شارك في الحدث فلا ينتمي إلى الشخصيات بل يكون جزء من الوصف... وهي تتكون من مجموع الكلام الذي يصفها الراوي ويصور أفعالها وينقل أفكارها وأقوالها»[1]، يتمحور حول الشخصية المضمون الذي يود الكاتب إيصاله للقارئ من خلال فكرها، سلوكها، وحركتها داخل الرواية، ولذلك قيل: «هي في القضية مدار المعاني الإنسانية ومحور الأفكار والأراء العامة ولهذه المعاني والأفكار المكانة الأولى في

[1] زيتوني لطيف، معجم المصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان، شرون، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص 113، 114.

القضية منذ انصرفت إلى دراسة الإنسان وقضاياه، إذ لا يسوقه القاض أفكاره وقضاياه العامة منفصلة عن محيطها الحيوي، بل ممثلة في الأشخاص الذين يعشون في مجتمع ما»[1]، وتختلف الشخصيات الروائية بعضها عن بعض في الصفات والأدوار والأهمية، لذلك قام نقاد الرواية بتقيم الشخصية(من حيث طريقة العرض، ومن المعروف أن الرواية عنت عناية كبيرة بالشخصية، لاسيما في رسم ملامحها الخارجية وفضلا عن طبقتها الاجتماعية، وعلاقاتها للآخرين، بهدف جعلها كالإنسان في عالم الواقع.

***الشخصية في رواية "اللجنة":**

هي تلك الشخصية التي يتوقف عليها فهم التجربة المطروحة في الرواية، فهي الشخصية المعقدة المركبة الغامضة التي لها قدرة على الإقناع والإدهاش، وتعد هذه الشخصية التي لا تحمل اسما داخل الرواية هي شخصية متعلمة ومثقفة ثقافة واسعة، كما أن لهما شهادات متعددة، وهي تبقي إلى الأفضل دائما عن طريق التقدم نحو التعلم والاكتشاف واكتساب الخبرة والمعرفة من خلال ممارسات مختلفة ومغامرات عدة، فنجدا هذا المثقف (مجهول الاسم) داخل الرواية يتقدم للامتثال أمام لجنة مكونة من أعضاء مجهولي الاسم والهوية وإنما معرفين بكنايات فقط (العسكري، القصي، العجوز) فيتمثل أمامهم مظهرًا ثقافة واسعة واستعداد كبيرا من أجل أن يصمد ويستطيع أن يقف امامهم فهذا البطل المثقف هيأ نفسه جيدًا، وحاول تكوين فكرة عن اللجنة وأعضائها وعملها، وعمل جاهزامن أجلأن يصمد أو أن يستطيع أن يقف أمامهم، فهذا البطل هيأ نفسية جيدًا، وحاول تكوين فكرة عن وأعضائها وعمل جاهدا من أجل اللقاء معهم: «حاولت أن أكون فكرة واضحة عن عمل اللجنة بالبحث عمن مثلوا أمامهم من قبل ورغم ثقتي من كثرتهم فإني لم أتوصل إلى غير قليلين عنهم...فجاءت أقوالهم عائمة متضاربة...الأمر الوحيد الذي خرجت أنه

[1] محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة–مصر، د، ط1997، ص 526.

ليس ثمة قاعدة ورغم ثقتي من كثرتهم فإني لم أتوصل إلى غير قليل عنهم.... فجاءت أقوالهم عائمة متضاربة...الأمر الوحيد الذي خرجت به أنه ليس ثمة قاعدة محددة لعمل اللجنة...لكن جميعا اتفقوا أن اللجنة تنصب شراكا ماهرة لكل ما يمثل أمامها»[1]. كما ترجع أن هذا البطل حاول استعراض أهم منجزات العصر التي وجدها مثيرة للنقاش، كان هذا الإنجاز أكثر إلهاما بالنسبة له وهو الكوكاكولا:« لن نجد أيها السادة بين كل ما ذكرت شيئا تتجسد فيه حضارة هذا **القرن** ومنجزاته بل آفاقه، مثل هذه الزجاجة الصغيرة الرقيقة التي يتسع لست لكل إنسان لرأسها الرفيعة... ومنذ ظهورها ارتبطت الكوكاكولا بالمعالم الرئيسة للعصر بل ساهمت أحيانا كثيرة في صياغتها»[2].

ثم يقوم بالبحث عن ألمع شخصية عربية: عندما وصلتني منها برقية أثارت حيرتي...طالعتني هذه الكلمات ننتظر دراسة عن ألمع شخصية معاصرة»[3]، ليجد نفسه أمام شخصية الدكتور التي لم يجد من هو ألمع ولا أشهر منها للبحث «ازددت اقتناعا بأني وجدت ضالتي أخيرًا فقد لا يكون الدكتور معروفا بالقدر الذي يمتنع به المغنون والراقصات، إلا أنه بالتأكيد أكثر منهم فاعلية وتأثيرًا في حدود بلادي وحدها، وإنما على مستوي العالم العربي بأكمله.

فهذا البطل **لا نجده** يكشف العديد من الأسرار ويتوغل فيها إلى الحد الذي يدفع باللجنة إلى التدخل في بحثه محاولة في كل مرة وضع عراقيل أمامهم، الأمر الذي زاد من عزم البطل وإصراره على إكمال بحثه في محاولة لتخطي كل الصعاب التي وصفتها اللجنة كما نألفه بين الفِنْيَةُ والأخرى سيحضر الكوكاكولا وعلاقتها لشخصية لامع الدكتور في محاولة منه للكشف عن تأثيراها على الناس: «لعلكم توفقونني أيها، السادة على أن هذا الإجراء في جانب الكوكاكولا هو

[1] صنع الله إبراهيم، اللجنة، ص 10.

[2] المصدر نفسه، ص 20- 21.

[3] المصدر نفسه، ص 24.

من أحد نواهيه بمثابة شهادات بارزة في حق الدكتور بالنظر إلى الشركة الأم لا تعطي هذا الامتيازات لاطع الناس في كل بلد»[1].

وفي الأخير يكون مصير هذا البطل متوقفا على قرار اللجنة، فتمثل أمامها مرة أخرى لكنها تختلف عن المرات السابقة فهو يتقدم إليها من أجل انتظار الحكم الذي ستصدره في حقه وهو في حالة اليأس. هو بطل إشكالي بمفهوم لو سياق نحو لزمان يعاني من التمزق بين الذات والموضوع، وبالتالي لا يستطيع التكيف مع الواقع وينتهي به الأمر إلى الفشل والتآكل غيرها يختار العنف والرغبة في المغامرة سعيا وراء إحقاق الحق وإبطال الباطل.

***الشخصية في رواية "أمريكانلي":**

بطلها هو أستاذ جامعي (شكري) يتم استدعاؤه في معهد (التاريخ القارن) بمدينة سان فرانسيسكو لتدريب محاضرات مقترحة حول «نشاط مؤرخ في توجيه إلى دراسة واعتماده منهجا معنيا في أبحاثه ثم محاولة تقويم هذا المنهج وتقدير نصيبه من النجاح والفشل[2]. وتظهر الشخصية الروائية (شكري) مضطربة مكونة بالخوف والشكوك، ومحاربا فكريا بسب آرائه الماركسية وجرأته في تأويل الوقائع التاريخية وموافقة ضدا التعصب الفكري والتشدد الديني اللامنطقي حين كان محاضرًا في جامعة القاهرة:« تعددت الظواهر المماثلة وبدأت تأخذ حجما غريبا إذا أشرت إلى طه حسين تصاعدت دبابات الأقدام الاحتجاجية وإذا أبديت رأيا بدا لهم أنه يتعارض مع إحدى المسلمات **تصد وإلى واشتبكوا** في مناقشة دينية، كنت أرد في حدود معلوماتي البسطة في هذا المجال ثم أقول إني لست فقيها وأني عليهم أن يتعمقوا في قراءة كتب التاريخ قدر تبحرهم في

[1] المصدر السابق، ص 73.

[2] صنع الله إبرهيم، أمريكانلي، ص 33- 34

الكتب الدينية[1]. وقد تلقى رسائل تهديد بالقتل بسب مواقفه تلك. مما اضطراره إلى الاختفاء في شقته، وتحصين نفسه بمجموعة من الأفعال الحديدية أياما مثالية وعدم الجرأة على الخروج إلا بعد غروب الشمس: «لم يكن بوسعي أن ألجأ إلى الشرطة فليس لدى دليل على شيء علقت بجوار باب مسكني سلسلة حديدية لألتقطها عندما أفتحه لطارق، وتدريب على لفها حول يدي البيت أتمكن من تطويها في الهواء وتوجيهها إلى الهدف...استمرت التهديد أُصبت بالأرق ولزمت منزلي أياما بكاملها»[2].

وقد تكرر هذا المشهد في غير موضع الرواية مرشحا صورته المسكونة بالرعب مما يحيطه. وهو شخصية مأزومة مسكونة بها جنس الجنس، إذ تزخرْ حياته الشخصية بالتجارب العاطفية، إلا أنها تجارب معتبرة تنتهي دائما بالفشل الذريع، وهو ما يشكل محورًا مهما في صياغة رؤيته التاريخية، حيث يربط باستمرار بين فشله العاطفي ورؤيته السوداوية لتاريخ البشري المنجز نحو الهاوية. وقد ساعد وجوده المؤقت في أمريكا على التحرر من عقدة العيب والبوح بسرية الذاتية وآرائه في غرفة الصف التي حاول فيها أن يعي ذاته وهويته عبر الآخر المختلف: «كانت تخذوني الرغبة في تأمل تجربتي العامة في الحياة بجانبيها العلمي والشخصي، تصورت أن محاولة صياغتها في كلمات ثم مشاهدة انعكاسها على عقول أخرى قد تضيء بعض جوانبها وخاصة فيما يتعلق بحياتي الداخلية، فلم يحدث أن عكفت على دراسة بعض حلقاتها واستخلاص مدلولاتها البعيدة شأني في ذلك شأن أغلب الناس الذين ينشغلون بالحياة نفسها عن تأملها»[3].

[1] المصدر السابق، ص 341، 342.

[2] المصدر نفسه، ص 337.

[3] المصدر السابق: ص 277.

توافرت روايات صنع الله إبراهيم على الكثير من سمات الرواية العربية الجديدة، مثل مناقشة بعض الخطابات المعرفية، وتراسل بعض الأجناس الأدبية وغير الأدبية، إلى جانب بروز الرؤية التهكمية الساخرة والتي نتجت عن سقوط هوية المثقف بل والإنسان بصفة عامة.

***الشخصية في رواية العمامة والقبعة:**

قدم لنا ناصح إبراهيم شخصية أساسية في العمامة والقبعة هو الراوي الذي لا نعرف اسمه وهو شاب نزل من الصعيد الى القاهرة بعد موت اهله في الطاعون ، والتحق بالجامع الازهر وتردد على دروس الشيخ الجيرتي فافسح الشيخ مكانة له في بيته ليواصل دراسته على يده ويساعد الشيخ في عمله كمؤرخ ولكن الشاب يشرع في تسجيل يومياته التي يؤرخ بها لحياته وللحملة الفرنسية منذ ان اصبح على تقوم القاهرة وتعتمد الرواية على كل اليوميات التي يصف فيها الشاب علاقته بأستاذه ، ثم عمله في مكتبة تابعة للفرنسيين بفضل المامه بالغة الفرنسية وهناك يتعرف الى بولين الفرنسية التي تصبح فيما بعد خليلة نابليوم بونابارت وعشيقة للشاب نفسه في الوقت ذاته ، ثم يأخذ الشاب مع الجيش الفرنسي الى العريش ليشارك في الحملة الفرنسية على مدن فلسطين والشام ويصف في يومياته كيف قد احرق الفرنسيون قرية مدنية جنين بإقليم بابلين وكيف فشلوا في الاستيلاء على عكا، وقرروا التراجع بعد أن أهلك ثلث جيشهم وبعد عودته الى القاهرة، يعود الراوي ليلتقي ببولين وصديقه القبطي حنا ، وصديقه الاخر المسلم عبد الطاهر الراوي، وهو الشخصية المحورية مثقف جبان، كما يصفه صبغ الله إبراهيم" يسيع معرفته باللغة الفرنسية يتصادف وان يراه شاب من أولاد اتلبلد خارج من المكتبة الفرنسية فيبصق على الأرض احتقارا له، فيكون قراره الوحيد أن يذهب الى المكتبة لأنه من الذهاب إلى هناك وحين يلقى لقبض على سليمان الحلبي ،يتولى الخوف على الراوي ويصبح السؤال الوحيد الذي يشغله هو:<<هل ذكر لهم سليمان إسمي وحينما يصدر الحكم بالإعدام سليمان الحلبي وقطع رؤوس أربعة من

الشيوخ يكون تعليقه الوحيد شعرت بالارتياح لأنه لم يأت ذكري في الامر، وعندما تصيح العامة على النصارى فإنه لا يجرأ على الذهاب إلى بيت صديقه حتى للاطمئنان عليه ، ورغم ما شاهده من وحشية الغربيين فإن يتشجع لكي ينقطع عن معاونتهم، مع ذلك فإنه يقرر في لحظة معينة أن يكتب نداء للفرنسيين يطالبهم فيه بالرحيل عن مصر وإلا كان الهلاك مصيرهم ، ويعلق النداء فيلقى القبض عليه ويظل في محبس القلعة إلى أن يغادر الحملة على مصر بعد الهزيمة في أي قبر فيعود إلى استاذه الجبراني ، ويتبقى علاقة الراوي بالشابة الفرنسية برلين وهي علاقته لم تنجح في أن تكشف عن صدام أو لقاء لحضارتين ومجتمعين وشخصين مختلفين تمام الاختلاف ، أحدهما من الصعيد والآخر من باريس ، لأن العلاقة لم تتخطى في العموم الحدود الجسدية إلا في لحظات نادرة، كما حدث عندما سمع الراوي بأن القانون الفرنسي يمنح المرأة الحقوق نفسها التي يمنحها للرجل لكن حتى هذه الحادثة لا تأتي إلا في إطار العلاقة بين الراوي وبرلين بل عن طريق جرف آخر لجاشتون ، توارت رواية صنع الله إبراهيم على الكثير من سمات الرواية العربية الجديدة، مثل مناقشة بعض الخطابات المعرفية، وتراسل بعض الأجناس الأدبية والغير أدبية ، إلى جانب بروز الرؤية التهكمية الساخرة والتي نتجت عن سقوط هوية المثقف بل الإنسان بصفة عامة.

4- المراوغة السردية للزمن التاريخي:

النص التاريخي وان تماشى مع النص الروائي أحيانا إلا أن هذا لا يعني أنه تحول إلى وثيقة تاريخية فلكل خصوصياته ومميزاته، والتراتبية الخطية للزمن التي ينتجها كاتب التاريخ لاتلزم الكاتب الروائي الذي يتعمد كسر تراتبية الزمن، من خلال توظيف تقنيات السرد من استرجاع

واستشراق ذلك أن الزمن قصة يخضع بالضرورة للتتابع المنطقي للأحداث بينما لايتقيد زمن السرد بهذا التتابع المنطقي.[1]

للإسترجاع منها: "بالأمس ذاع خبر هزيمة مرادبك في انبابة"[2]، وهو اتذكار ذو سعة صغيرة بمعنى أنه يمتد(14 سطر)فقط.وتشغل الاسترجاعات ذات السعة القصيرة حيزا كبيرا من الرواية، نظرا لإعتماد السارد عليها في التعريف بشخصياته من خلال العودة إلى مافيها كل مرة، ومثال ذلك في تعريفه بقصر الشيخ الألفي وتاريخ بنائه، حيث عاد السرد الى سنة ماضية: "فقد شيد الألفي قصره في السنة الماضية.."[3]،ويشغل هذا الاسترجاع حوالي صفحتين (24-23) من الرواية .وكذلك عندما يعود السرد إلى العراء بعشرين سنة على لسان الجبرتي ليحكي قصة الألفي فيعشرة أسطر :"لقد جلبه بعض التجار من الأناظول منذ عشرين سنة، واشتراه مرادبك بألف أردب من الخلال فهي بالألفي وكان يميل الصورة فأحبه وأعتقه وجعله كاشفا"[4]. وكذلك في التعريف بالشيخ كريم (حوالي عشر سطرا) من صفحتي (52-51) من الرواية. ثم قصة الشيخ الشرقادي والتي رجع فيها الجبرتي بذاكرته ثلاث سنوات إلى الوراء ليعرف الراوي هذا الشيخ، وقد غطت حيزا من الرواية بقدر حوالي (24 صفحة).

وقد يورد الكاتب بعض الاسترجاعات غير محددة لمدة ، ولكن يمكن للقارئ استنتاجها من الملحوظات التي وردت فيها، ومنها:"كما قد تعلمنا سويا في الكتاب وجئنا معا من الصعيد هربا من الطاعون، واضطر للعمل في وكالة أقمشة ليعيل أمه، ولم تتقطع حكيتنا..."، فمن خلال عبارة تعلمنا سويا في الكتاب يمكننا أن نقدر الزمن في هذا الاسترجاع وهو زمن صبا الراوي، وهو نفس

[1]- حميد لحميداني: بنية النص السردي، من منظور النقد الادبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص73.

[2]- صنع الله ابراهيم: العمامة والقبعة، ص05.

[3]- المصدر نفسه، ص23.

[4]- المصدر نفسه، ص88.

الزمن الذي قصده الراوي في حديثه لبولين عندما كان يحكي عن ماضيه:" رويت لهما كيف تعلمت القراءة والكتابة،وحفظت القرآن في كتاب قريتي ثم صات أهلي في الطاعون " وأحيانا يلجأ السارد إلى إسترجاع مبهم المدى، حيث لا يكاد يعرف القارئ سوى أنه عودته للوراء في غياب الاسترجاع للتعرف بهذه الشخصية وسبب وصولهما إلى هذه الخاتمة (الإعدام).

5- مستويات اللغة:

تستمد اللغة قيمتها في الدرس النقدي يوصفها المادة الخام التي يتشكل منها العمل الأدبي بعامته "فاللغة لا تتوقف عند مصاحبة الخطاب مقدمة له مرآة لبيته الخاصة :بل هي التي تشكل سمانة الخاصة وتولد قيمته الفنية والجمالية"[1].

تعد اللغة العنصر الأساسي في غياب الرواية وتشكيل علمها الفني إلى جانب العناصر النبائية، التي يتكون منها للعمل الأدبي من شخوص وفضاء وبنية زمنية ورؤية سردية وأحداث "فباللغة تنطق الشخصيات وتكشف الأحداث،وتتضح البيئة، ويتعرف القارئ على طبيعة التجربة التي يعبر عنها الكاتب"[2]، والراوية يوصفها تشكيلا لغويا بالدرجة الأولى وجود تتصارع فيه الشخصيات والأفكار وتتحاور فيه وتتلاحق كل هذا داخل اطار اللغة ولانها "هي معيار الاساسي المعول عليه وذلك لما تحماه من طاقات وامكانيات،فهي التي تبحث عن الاندهاش او علمه او الغرابة...فالمادة الاساية التي تشكل الاغراء ليست الموضوع الذي تتحدث عنه لغة النص فقط بل اللغة نفسها"[3].

[1]-رولان بارت: التحرير البنيوي للسرد، تر: حسن بحراوي وزملائه، منشورات اتحاد المغرب، الرباط، المغرب، ط1، 1992، ص11.

[2]-عثمان عبد الفتاح: بناء الرواية-دراسة في الرواية المصرية، مكتبةالشباب، القاهرة، ص119.

[3]- موسى ربابعة: جماليات الاسلوب والتلقي، دار جديد النشر والتوزيع، ط1، عمان-الاردن،2008، ص65.

وبذالك يمكن ان نقول ان اللغة هي اهم عناصر المكونة لرواية فهي النسيج الذي يجمل بين ذاكرة اللغة وافكار الكاتب الذي يجب ان تكون لغته أكثر ملائمة من وسائل بناء القصة في السرد والحوار والوصف وغيرها والافضل ان يكون مستوى اللغة الادبية خالية من الشوائب العامية والتي قد يستعملها الكاتب لغرض التعبير عن الاوضاع بطريقة مبسطة يفهمها جميع القراء بكل طبقات والمستويات الفكرية.

ذلك ان بانه "الادب فن يحتاج الى قدرات ابداعية وادوات تعبيرية وإذا كان النحات الذي يصنع تمثالا من الصخر او البرونز او الرخام يطوع هذه المواد العصيبة فكيف يعجز اديب عن تطويع اللغة لحوار قصة او رواية؟ !"[1].

والملاحظ ان اغلب الروايات قد تحظر فيها مزج لغتين او اكثر ونقصد بذالك اللغة الفصحة والتي هي "تلتزم بنمط القراني حفاظا على شكل الكلمة العربية وزنا ومعنى ووصلا وقفا،وضبطا والتزاما بالمعجم الذي يشيرالى الجائز والممتنع من عدم تجاهل ما وصلت به المجامع العربية اللغوية"[2] وقد تشهدنا هذي اللغة برويات صنع الله ابراهيم (اللجنة) (امريكانلي) (شرف) (العمامة والقبعة) اذ يمكن ان ناخذ مثال من كل رواية لاظهار فصاحة الكاتب (صنع الله ابراهيم)،ففي رواية (اللجنة) يبدع كاتبنا في وصف اللجنة بطريقة فصيحة جدا يقول "وكان يتوصطهم عجوز متهالك ذو عوينات طيبة سميكة قرب منها ورقة في يده حتى اوشك تان تلامس وقد استغرق في محاولة القراءة،وقدرت ان الورقة تنتمي ولا شك الى الملف الخاص بي" [3] والامرنفسه لاحظناه في رواية "العمامة والقبعة" يقول"انهمك الفرنسيون صباحا في فصل المغاربة عن بقية الاسرة وجمعوا الاخرين امام خيمة نابليون ومنعو عنهم الطعام وقادو المغاربة الى شاطئ البحر وتبعتهم من بعيد

[1]– طه وادي: دراسة في نقد الرواية، الطبعة3، دارالمعارف، القاهرة–مصر،1992، ص31.

[2]– الحلاق بطرس: اللغة واللسان والثقافة، موقعمعابر، الثقافي الالكتروني.

[3]– صنع الله ابراهيم، اللجنة، ص11.

فرايتهم يصفونهم عن الماء ثم تقدمت كتيبتان منهم وبدات في اطلاق النار عليهم"[1] (وقد ارت الاشارة الى فصاحة الكاتب"صنع الله ابراهم"وذالك من اجل ابراز ثقافته وقدرته على الكتابة الروائية اضافة الى قدرته على وصف الدقيق الاوضاع المختلفة).

اما اللغة الثانية التي وجدناها في الروايات هي اللغة العامية والتي يمكن ان نقول انها لغة هجينة بالرغم من استعمال الكاتب اللغة العربية الفصيحة في رواياته الا انه قد اقترب كثيرا وفي مواقع كثيرة من اللغة العامية المصرية بحكم ارتباطها الوثيق بالواقع المعاش فقد حضرت العامية كغطاء لغوي مرن قابل للتقاطع مع اللغة الام (اللغة العربية)، وهذا النوع من اللغة لمحناه في رواية شرف وبطريقة كبيرة لاحظت ان الجميع نامو فيها عدا بطشة الذي كان يتاملني من نظرته وهو يدخن، ورايته يعتدل جالسا ثم يزحف نحوي خاطبني هامسا:

عارف أنك ملكش جوابات الا بعد متطلع من الايواء؟

قلت طب والعمل؟:قال: قدمك طريقة واحدة عشان تبعث جواب.

سالته في لهفة:ايه هي؟قال:تنزل بنفسك تحطها في صندوق البوستة الي في الميدان.[2]

فقد جائت اللغة العامية على شكل حوارات متبادلة مع شرف والمساجين او بين المساجين ورؤساء السجن ومنه يمكن أن نقول ان "صنع الله ابراهيم" قام بإضفاء البعد الواقعي على السياق النصي لرواياته معتمد على اللغة العامية التي تمثل المجتمع بكل تفاصيله ومشاكله وحتى أفراحه.

ثم اننا نجد وصف في روايته أنماط أسلوبية جديدة تستند إلى إستعمال قصاصات أنباء الصحف والمقالات والإعلانات الاشهارية لإضفاء الواقعية والموضوعية على الرواية: "قصاصات صحفية تضم جانبا من كلمة الادعاء في قضية قاسم بيه:"...في نهاية الثمانينات انخفضت أسعار

[1]– صنع الله ابراهيم: العمامة والقبعة، ص153.

[2]– صنع الله ابراهيم: الشرف، ص88.

اللحم البلدي بعد النجاح المذهل لمشروع إنتاج البتلو وكان آخرون منهم المقصم يستوردون لحوم التصنيع لزوم الهامبوغ واللحوم المصنعة المثلجة فانخفصت مبيعاتهم، وفجأة أصدر وزير التموين أنذاك قرار بحظر استيراد اللحوم..."[1].

"إعلان كبير على نصف صفحة من مجلة مصرية تتوسطه صورة لشاطئ ساحر تتناثر فيلات أنيقة وأسفل الصورة عنوان كبير بخط كبير الحق بالصفوة..."[2] ، تلك كما نجد أيضا في رواية أمريكانلي ما يعرف التوثيق أو التاريخ بصفة خاصة يقول:"تركت لي فادية في الصندوق عدد صحيفة "الأهرام" المصرية الذي إحتوى على نبأ حادث القطار المأساوي وكان التصنيف مصاغة بالطريقة المألوفة فردفعل رئيس الجمهورية أهم من تفاصيل الكارثة نفسها: "الرئيس يتابع عمليات إنقاذ وعلاج المصابين ويتلقى برقيات التعازي في ضحايا الحادث".[3]

كما نلاحظ في رواية اللجنة أنه قد استعمل لغة ساحرة متهكمة وحها إياها إلى كل مسؤول وإلى كل مثقف مهمل يعمل فقط من أجل تحصيل المال لا من اجل نفع مجتمعه يعلمهومن أبرز أساليب اللغوية التي وجدناها في الرواية وهي الصور الكاريكاتورية المعبرة بطريقة واضحة عن سخريته الكبيرة بأعضاء اللجنة وهنا يمكن أن نقول أن لغة صنع الله إبراهيم، في هذه الرواية كانت لغة عنيفة بطريقة كبيرة والأمر نفسه في رواية "شرف"وذلك نتيجة وجود بطلي الرواية في أماكن عنيفة تستدعي العنف (السجن–الوقوف أمام اللجنة) وأقصد بالوقوف أمام اللجنة لغة عنيفة صارمة جدا "دفع عضو قصير القامة قبيح الوجه رأسه نحوي وكان يجلس إلى يمين الرئيس، بينه وبين

[1]– المصدر نفسه، ص234.

[2]– المصدر نفسه، ص248.

[3]– صنع الله إبراهيم: رواية امريكانلي، ص202.

أحد العسكريين وخاطيني في لهجة عدائية:انا لا استطيع أن افهمك ، فأنت فيما يبدو قطعت شوطا بعيدا وها انت في هذا السن تسعى وراء بداية جديدة، الاتظن أن الوقت فات ذلك؟"[1].

كما نجده يزاوج بين الحوار والأسلوب غير المباشر بشكل متوازن مستعمل لغة موضوعية في الكثير من الأحيان مع تطبيعها لغة موضوعية في االكثير من الأحيان مع تطبيعها مع لغة إنشائية ذاتية حب لا بالمشاعر والأحاسيس الإنسانية النبيلة التي تصور عالم المفارقة وتدعو إلى تغييره" توقفت لحظة محسوبة وأنا اتطلع إليهم، ثم أجبت بطريقة مسرحية: "ولا واحدة" [2].

وفي رواية "العمامة والقبعة" نجح "صنع الله ابراهيم" في اختيار اللغة[3] التي كتب فيها روايته فنجد يقول مثلا "وقعت في الناس زعجة وكرشة" أو "ذهبت إلى المجمع فوجة عليه حرفية شديدة"[4] وعلى هذا المنوال واصل "صنع الله" كتابة روايته وكأنه في ذلك العصر أي إستعمل كلمات من ذلك الوقت (لغة العصر) إذ أنه إستطاع أن يوحي بالعصر بكل تفاصيله حتى من ناحية لغتهم كما نجد أنه يتجنب في نفس الوقت غرائب الكلام المهجور والغير مرغوب به من كلمات وجمل غير مفهومة كانت تستعمل قديما.

وفي الأخير يمكن أن نقول أن لغة صنع الله إبراهيم في رواياته وأعماله الأدبية هي لغة تقريرية موضوعية تميل إلى لغة الصحافة الجافة الخلية من نصاعة البيان وروعة الاستعارة وهذه الروايات التي تطرقنا إلى دراستها كتبت بطريقة عفوية للغاية، ودليل ذلك العامية التي وجدناها فيها (إضافة الكثير من الجمل التي وصف صنع الله إبراهيم مواقف كان من الواجب تجنبها و الابتعاد عن الحديث عنها).

---

[1]– صنع الله ابراهيم: اللجنة، ص14.

[2]– المصدر نفسه، ص14.

[3]– صنع الله ابراهيم: العمامة والقبعة، ص76.

[4]– المصدر نفسه، ص111.

خاتمة

خاتمة:

لقد حاولت دراستنا الموضوعية/ الفنية أن تقترب من أزمة المثقف العربي في روايات صنع الله إبراهيم، وذلك بالوقوف عند طبيعتها من خلال تعقب علاقات المثقف المختلفة مع السلطة مع الأخر، وربما سمح هذا التناول حتى بالكشف عن (إيديولوجية الروائي في حد ذاته ولو لم يكن غاية، وقد توصلنا إلى النتائج التالية:

1- إن "اللجنة هي رواية جدلية المثقف والسلطة، ورواية واقعية انتقادية، تصور صراع المثقف مع أنظمة القمع وإعدام المعرفة إقبارًا ومنعا، إنها تبيّن لنا صراع الحقيقة مع الزيف وتملق السلطة وموالاة اللجنة لها.

2- إنّ شخصيات "صنع الله إبراهيم في أعماله هي في معظمها شخصيات عانت الاغتراب المكاني أولا والاغتراب النفسي ثانيا، غير أن هذا الاغتراب جاء مختلفا ومتنوعا تبعا للتكوين الداخلي للشخصية، وملاحقها جراء الانتقال أو الانفصال عن الأرض والوطن.

3- اعتمد صنع الله "إبراهيم" في مواضعه على الابتكار والتجديد في الطرح بالانفتاح على عوالم مغنية من أجل إيصال صوته إلى أقصى حد ممكن، فراح يخُطُ بريشة قلمه سمفونية عنوانها اللقاء بالأخر، حيث عالج لنا اللقاء الحضاري بين الشرق والغرب ليرسم لنا معالم ذلك الشرح المتجدد بين الأنا والأخر.

4- إن الأحداث التاريخية شكلت مواضيع صنع الله إبراهيم باعتماده أسلوب التوثيق، من خلال الاستناد على الوثائق التاريخية من كتب ومراجع، وأسماء الشخصيات التاريخية في تشكيل السردي يمتزج فيه السرد بالتاريخ والسيرة الذاتية، ويتقاطع فيه الواقع من المتخيل، حيث يكشف القارئ للروايات بصمة الكاتب من خلال التلاعب بالزمن التاريخي، من خلال خلخلة المفاهيم لدى

القارئ، فصنع الله إبراهيم أراد إعادة كتابه ما أغفله المؤرخون وذكر ما يخجل من ذكره التاريخ (الرسمي)، الذي يمجد القادة والعظماء، ويهمش الضعفاء.

5- اتخذ صنع الله إبراهيم من السخرية وسيلة للتعبير عن واقع مصر خاصة ودول العالم الغربي عامة، من خلال الموضوعات التي تطرق إليها في روايته، حيث اعتمد على الصور الكاريكاتورية الساحرة داخل نص الرواية.

6- سعى صنع الله إبراهيم في رواياته إلى الاقتراب من الواقع أكثر فأكثر، ركز على الحياة الخارجية برؤية واقعية جديدة تختلف عن واقعية السابقين، ومن هذا المنطلق اختار الروائي شخصيات روائية من الواقع، لكنه عرضها بطريقة مختلفة عما كان مألوفا في الروايات الواقعية التقليدية.

7- يتجاوز الروائي في نصوصه الابداعية اللغة العادية موظفا لغة فنية راقية، فكلما زادت ثقافه الروائي واطلاعه على مختلف الأجناس غير الأدبية ارتفع المستوي الجمالي، وهذا ما نجده في روايات صنع الله إبراهيم فمزج في رواياته على لغة ساخرة، ثم اعتمد التوثيق والتاريخ والواقع المتخيل ثم لغة السجون كون هذه الروايات تعبر عن شخصية المثقف.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

1- المصادر:

1- صنع الله ابراهيم: اللجنة، ط2، دار الكلمة، بيروت- لبنان، 1983.

2- شرف، د.ط، دار العملال، القاهرة- مصر، 2003.

3- أمريكانلي، ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة- مصر، 2003.

4- العمامة والقبعة، ط1، دارالمستقبل العربي، القاهرة – مصر،2008.

5- أبو الحسن مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري: الصحيح، د.ط، دار الجيل، بيروت- لبنان، 1334هجري.

6- أبو حيان التوحيدي: الاشارات الإلهية، تح: عبد الرحمان البدوي، ط1، دار العلم، بيروت – لبنان،1988.

7- ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين، تح: جامع رضوان، د.ط، مؤسسة مختار لنشر التوزيع، القاهرة – مصر،2001.

8- محمد ناصر الالباني: ضعيف الجامع، ط3، المكتب الاسلامي، الاسكندرية- مصر، 1988.

2- المراجع:

أ- المراجع العربية:

1- برهان غليوم: أزمة العمومية وإشكالية بناء الذات الحضارية- تساؤلات حول العموية العربية، ط1، دار بدايات، سوريا- دمشق،2008.

2- برهان غليوم: تهميش المثقف ومسألة بناء النخبة القيادية، دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت- لبنان،1995.

3- جمال محمد طعان: المثقف وديمقراطية التعبير، ط1، الأوائل للنشر والتوزيع، حلب- سوريا،2002.

4- جهاد عطا نعيسة: في مشكلات السرد الروائي- قراءة خلافية في عدد من النصوص والتجارب الروائية العربية والعربية السورية المعاصرة، د.ط، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق- سوريا،2001.

5- حاتم الورفلي: بول ريكور (العموية والسرد)، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر بالتعاون مع جامعة تونس الأولى، كلية الادب والعلوم، 2009.

6- حامد عبد الهوال: السخرية في أدب المازني، ط2، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة- مصر،1988.

7- حميد لحميداني: بنية النص السردي- من منضور النقد الأدبي، ط1، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء- المغرب،2000.

8- ابن رجب الحنبلي: كشف الكربة في وصف اهل الغربة، ط1، مطبعة النهضة الأدبية، 1332 هجري.

9- رجب محمود: الاغتراب سيرة ومصطلح، ط4، دار المعارف، القاهرة – مصر،1993.

10- زعرب صبحية عودة: غسان كنفاني- جماليات السرد في الخطاب الروائي، د.ط، دار المجدلاوي، عمان- الاردن،2006.

11- سعد الله محمد غانم: أطياف النص- دراسات في النقد الاسلامي، ط1، عالم الكتاب الحديث،2007.

12- سليم النجار: سؤال العموية في " زنوج ويدو فلاحون" لغالب هلسا، ط1، دار فضاءات للنشروالتوزيع والطباعة، 2008.

13- سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية الجديدة- الوجود والحدود، د.ط، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، 2010.

14- سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، ط2، المركز الثقافي الغربي، الدار البيضاء- بيروت، 2002.

15- شكري عبد العزيز: أنماط الرواية العربي الجديدة، د.ط، المجلس الوطني للثقافة الفنون والأدب، الكويت، سبتمبر 2008.

16- صالح زامل: تحول المثال، د.ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، 2003.

17- عادل الالوسي: الاغتراب والعبقرية، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر،2003.

18- عبد الإله بلقزيز: في البدئ كانت ثقافة، ط1، إفريقيا الشرق، 1998.

19- عبد الحميد هيمة وآخرون: سلطان النص- دراسات، ط1، دار المعرفة، الجزائر،2009.

20- عثمان عبد الفتاح: بناء الرواية- دراسة في الرواية المصرية، د.ط، مكتبة الشباب، القاهرة- مصر،2000 / 1982.

21- عطية أحمد: الرواية والسياسة، د.ط، مكتبة دبولي، القاهرة- مصر، 1981.

22- علي حرب: أوهام النخبة أونقد المثقف، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، 2004.

23- على عشري زايد: البعد التراثي للعموية القومية في الأدب العربي المعاصر، العموية رؤية عامة القومية في الأدب العربي، د.ط، معهد البحوث والدراسات جامعة الدول العربية، القاهرة- مصر، د.ت.

24- غالب هلسا: المكان في الرواية واقع وآفاق، د.ط، دارين رشد، بيروت-لبنان، 1981.

25- غالي شكري: أزمة الجنس في القصة العربية، ط1، دار الشروق، مصر- لبنان، 1991.

26- قيس النوري: الشخصية العربية ومقاراباتها الثقافية، ط2، المركز العلمي العراقي، 2012.

27- كمال الدسوقي: ذخيرة علوم النفس، د.ط، الدراسة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، 1998.

28- محمد رجب الباردي: شخصية المثقف في الرواية العربية المعاصرة، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1993.

29- محمد رياض وتار: توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، د.ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق- سوريا، 2002

30- محمد علمي القاعود: الرواية الاسلامية المعاصرة- دراسة تطبيقية، ط1، دار العلم والايمان والنشر والتوزيع، دمشق- سوريا، 2000.

31- محمد عمارة: الوعي بالتاريخ وصناعة التاريخ، ط1، دار رشاد للطباعة، القاهرة- مصر، 1997.

32- محمدغنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ط1، دار العودة، بيروت- لبنان، 1997.

33- محمد نعمان طه: السخرية في الأدب العربي، ط1، دار التوفيقية، القاهرة- مصر، 1978.

34- موسى ربابعة: جماليات الأسلوب والتلقي، ط1، دار جديد للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 2008.

35- ناصيف نصار: منطق السلطة- مدخل إلى فلسفة الأمر، ط1، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1995.

36- نبيل راغب: الأدب الساخر، ط.1، مكتبة الأسرة، القاهرة- مصر، 2000.

37- وادي طه: دراسة في نقد الرواية، ط3، دار المعارف، القاهرة- مصر،1992.

38- يحي العبد الله: الإغتراب دارسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان- الأردن،2005.

39- يمني العيد: فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتمييز الخطاب، ط1، دار الأداب، بيروت- لبنان، 1998.

ب- المراجع المترجمة:

1- ألكس ميكيشلي: العموية، قرة على وطفة، ط1، دار وسيم للخدمات الطباعية، 1993.

2- جان بول سارتر: دفاع المثقف، تر: جورج لحرابشي، ط1، مطابع دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، 1980.

3- جون ماكوري: الوجودية، تر: إمام عبد الفتاح إمام، د.ط، المجلس الوطني للفنونو الأدابوالثقافة، الكويت، 1982.

4- جيكومو للرفاهر نهولتر: الصراع على الله في أمريكا- مسيحي يعاين الدين المدني، تر: معين الإمام، ط1، العبيكان، المملكة العربية السعودية، 2010.

5- رولان بارت: التحليل البنيوي للسرد، تر: حسن بحراوي وزملائه، د.ط، منشورات اتحاد المغرب الرباط، المغرب، 1980.

6- رولان بارت: الكتابة في درجة الصفر، تر: محمد نديم خشفة، ط1، مركز الانماء الحضاري، 2002.

7- ريشارد شاخت: الإغتراب، تر: كامل يوسف حسين، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، 1980.

ت- المعاجم:

1- زيتوني لطيف: معجم مصطلحات نقد الرواية، ط1، مكتبة لبنانناشرون، بيروت- لبنان، 2002.

2- المنجد الأنجدي: معجم الأنجد في اللغة والاعلام، ط3، دار المشرف، بيروت- لبنان، 1908.

الرسائل الجامعية:

1- جمال مباركي: الغرب في الرواية الحديثة، رسالة دكتوراه، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة- الجزائر، 2009/2008.

2- بن علي قريش: الاغتراب في الشعر العربي الحديث (1945/1920)، رسالة دكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس-الجزائر، 2006.

3- شريف موسى عبد القادر: الاغتراب في حكايات ألف ليلة وليلة، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان- الجزائر، (1997،1996).

المجلات والملتقيات والصحف:

1- توفيق مجدي: الرواية المعاصرة-قراءة جديدة، مجلة العملال، فبراير 2008.

2- إبراهيم محمود: حول الاغتراب الكفكاوي رواية المسخ انمودجا، عالم الفكر، المجل د15، ع02، الكويت، 1984.

3- إدوارد خراط: إنهيار الحواجز الأدبية، مجلة العربي، ع446، يناير 1996.

4- بسام خليل فرنجية: الاغتراب في أدب حليم بركات، مجلة فصول، المجلد 04، ع01، 1983.

5- حسين عيد: المثقف العربي المغترب في الرواية الحديثة، عالم الفكر، المجلد 26، ع01، سبتمبر 1997.

6- سلوى العمر: الرسالي الوظيفي في مهمة المثقف، مجلة أفكار، ع143، 2000.

7- شمس واقف زادة: الأدب الساخر وأنواعه وتطوره على مدى العصور، فصيلة دراسات الأدب المعاصر.

8- محمد بن زيان: صورة المثقف العربي في الرواية العربية، صحف جزايرس، نشر في النصر، يوم 2015/11/23.

9- صنع الله إبراهيم: مجلة أقلام، المجلد 18، 1983.

10-عباس حكيم: أزمة الفكر القومي العموية القومية بين التراث والمعاصر، مجلة شؤون عربية، ع 88، 1996.

11-عبد الله إبراهيم: أمريكانلي بين السيرة والسرد التخييلي، صحيفة الرياض السعودية، الخميس 12 رجب 26/1428 يوليو 2007م، ع 14276.

12-على وطفة: المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية، عالم الفكر، المجل د27، ع02، ديسمبر 1983.

13-فينسكوف والتر: الاغتراب الوجودي، تر: كامل يوسف حسن، مجلة الآداب، السنة 29، ع43، 1981.

14-ماجدة حمود: صورة الآخر في التراث العربي، مجلة فصول، دار العربية للعلوم، مجلد16، ع4، القاهرة- مصر، 1998.

15-محمد بدوي: استعادة مشروع القتل- قراءة نقدية في رواية " اللجنة" صنع الله ابراهيم، مجلة الأقلام، مجلد 18، 1983.

16-متقدم الجابري: تجليات الإغتراب في شعر صلاح عبد الصبور، مجلة الأثر، ع04، ماي 2005 2015.

17-محمد عبد الرحيم: الاسلوب الوثائقي في السرد الروائي، مجلة القدس، 29 أوت 2015.

18-نبيل سليمان: المنعطف الروائي الجديد للرواية العربية أبحاث وشهادات، مجلة الآداب، ع8/7، تموز، 1997.

19-صنع الله إبراهيم وآخرون: ملتقى الروائيين العرب الأول- شهادات ودراسات، مهرجان قابس الدولي، قايس-تونس/ دار الحوار، اللاذقية-سوريا، ط1، 1993.

مواقع الأنترنت:

1- مالا تعرفه عن صنع الله إبراهيم، من هو، ماسيرته الذاتية، .www.ibn-rushed.org

2- الحلاق بطرس: اللغة واللسان والثقافة، موقع معابر الثقافي والالكتروني.

ملاحق

تعريف الكاتب وأهم أعماله:

أ-سيرة حياة صنع الله ابراهيم:

تمثل سيرة "صنع الله ابراهيم" لصورة نموذجية إلى حد ما حياة عدد كبير من المثقفين العرب الذين ينتمون جيل الستينيات، كما كان يسمى آنذاك الكاب الصاعدون، مابعد "نجيب محفوظ".

ولد صنع الله ابراهيم في القاهرة عام 1937، أي في زمن كان فيه مصر مستغلة من الناحية النظرية ولكن القوات البريطانية ظلت تحتل منطقة السويس طوال العشرين عاما. لقد عاش كشاب مثل الكثير من أبناء جيله، مرحلة النهضة التي اعقبت الاشهار وآمال الديمقراطية والعدالة الاجتماعية التي غلقت على الاستقلال، وعايش عام 1952م اسقاط النظام الملكي عبر انقلاب الضباط الأحرار المعروف في مصر " بثورة يوليو" وعايش سنة 1954م استيلاء "جمال عبد الناصر" على الحكم مما فتح الباب لتحولات سياسية واقتصادية واجتماعية عميقة في تلك السنوات، بدأ " صنع الله ابراهيم" بدراسة الحقوق ولكنه مالبث أن انصرف إلى السياسة والصحافة، ولقد كانت تلك السنوا ت سنوات القومية العربية وسياسية والاشتراكية العربية ولكن الحكومة كانت لا تسمح بتوجيه أي نقد إليها، بسبب عضويته في الحزب الشيوعي ، سجن" صنع اللع ابراهيم" عدة مرات لفترة قصيرة إلى أن سجن خمس سنوات ونصف من 1959. إلى 1964و ذلك في سياق حملة شنها جمال عبد الناصر ضد اليسار، وإلى فترةالاعتقال هذه ترجع إلى الصداقة التي نشأت بين "صنع الله ابراهيم" وبين الكتاب" كمال القلشة" و"رؤوف مسعد" و"عبد الحميد قاسم"، وكذلك مع الصديق "مهدي عطية" الذي مات تحت التعذيب.

وبعد تسريحه منالسجن إشتغل "صنع الله ابراهيم" في البداية صحافيا لدى وكالة الانباء المصرية (مينا) عام 1967، في برلين الشرقية لدى وكالة الانباء الالمانية (أ.ذ.ن) التابعة لجمهورية ألمانيا الديمقراطية سابقا من 1968م إلى 1971م وتلت ذلك إقامته في موسكو لمدة ثلاث سنوات، إشتغل خلالها فن الفيلم، وذلك ضمن دراسة علم التصوير السينمائي، ليحزم أمره بوضوح لصالح

الكلمة المكتوبة، وبعد عودته عام 1974م إلى القاهرة في عهد السادات عمل لدى دار النشر قبل أن ينفذ في عام 1975م قراره لينذر نفسه للكتابة بصفته كاتبا حرا"[1].

ب- أهم أعمال " صنع الله ابراهيم":

تتميز أعمال صنع الله ابراهيم بحبكة السرد والحكي التشابك، فيحتاج القارئ إلى التركيز في رواياته حتى لا يتشتت أو تتوه الأحداث منه، كانت أول رواياته " تلك الرائحة" عام 1966م وقد وصف فيها تجربته في السجن وفترة مابعد الخروج، لكن لم تنشر الرواية كاملة حيث تمت مصادرتها لعشرين عاما حتى عام 1986م، عندما تم نشرها كاملة لأول مرة بنصوصها الاصلية.

جاء بعد ذلك كتاب" إنسان السد العالي" عام 1967، الذي ولدت فكرته في المعتقل مع كل من "كمال القلشة" و" رؤوف مسعد" الذين خرجوا من المعتقل تباعا عام 1964م ذهبوا في مغامرة إلى أسوان بعد أن قسموا العمل بينهم أتبع هذا الكتاب بدراسة اسمها "حدود حرية التعبير" عام 1973م، وثاني أعماله الرواية " نجمة أغسطس" عام 1974م وهي واحدة من علامات التجديد في الرواية العربية والفن الروائي بصفة عامة، وموضوعها الرئيسي هو المشروع الوطني " السد العالي" ، وهي بمثابة الشهادة على العصر والحدث.و الرواية الثالثة "اللجنة " التي صدرت عام 1981م، وقد أثارت جدلا واسعا لانتقادها اللاذع لسياسة الانفتاح في عهد السادات. بعد ذلك أصدر رواية " يوم عادت المملكة القديمة" 1982م، حيث نالت أفضل رواية من المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم. ثم في العام نفسه أصدر " اليرقات في دائرة مستمرة" وكذلك "عند ماجلست العنكبوت تنتظر" و أيضا " الدلفين يأتي عند الغروب" في عام 1983م أصدر رواية " الحياة والموت في بحر ملون"، ثم رواية " بيروت بيروت" 1934م التي جسد فيها الحرب الأهلية في لبنان ، وبعد ذلك رواية " ذات" عام 1992م التي تحولت إلى مسلسل تلفزيوني في عام 2013م وفي 1997م صدرله رواية "شرف" التي تعتبر أحد أفضل أعماله وهي من أدب السجون ووضعت في المرتبة

[1] مالا تعرفه عن صنع الله الراهيم: من هو، وماسيرته الذاتية، w.w.w ibn_rushd_org.

الثالثة في ترتيب أفضل 100 رواية عربية، تدور حول "أشرف" أو "شرف" الشاب المدلل الذي تنقلب حياته رأسا على عقب بعد أن يقتل الخواجة حاول هتك عرضه فيدخل السجن لينتقل إلى عالم جديد ويرى فضائح القانون وفساده وينغمس في وحل قصص واقعية من انتهاك العدالة و التجارة في المخدرات، أثار ت تلك الرواية جدلا كبيرا بعد أن صدرت في مارس 1997م.

ومن أعماله الأخرى " رواية وردة" الصادرة عام 2000م وتدور في فترة التسعينات سلطنة عمان ووجبهة التحرير هناك وكذلك رواية " أمريكانلي" الصادرة عام 2003م واسمها الذي يمكن أن نقرأه" أمري كان لي" أي نسبة إلى أمريكا، حيث تدور الرواية حول أستاذ مصري في جامعة أمريكية ويتناول الكاتب فيها تاريخ البلدين ، صدر له بعد ذلك " الناصص" عام 2007م . ثم " العمامة والقبعة" عام 2008م، وكتاب " القانون السياسي" في العام نفسه.

وفي أعقاب النكسة 1967م كتب "صنع الله ابراهيم" رواية " 1967م" ولم يقدر على نشرها وقتها لشدة جرأتها وتعتبر الجزء الثاني من رواية " تلك الرائحة" من اثني عشر فصلا كل فصل فيها يمثل شهرا من شهور 1967م موضحا أسباب ماجرى ومقدمات الهزيمة.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات **الصفحة**

إهداء

شكر وعرفان

مقدمة ..... أ- ج

المدخل

مفاهيم ومعلومات

1- **عن أزمة المثقف العربي** 05

2- **ومضات حول أزمة المثقف في الرواية العربية..... 10**

الفصل الأول

ملامح أزمة المثقف في روايات صنع الله إبراهيم.

1- إشكالية علاقة المثقف بالسلطة..... 16

أ- السلطة في رواية "اللجنة" 19

ب- السلطة في رواية " شرف".....22

2- ملامح اغتراب المثقف..... 24

أ- الاغتراب الديني.....33

ب- الاغتراب القيمي الاجتماعي.....35

ج- الاغتراب النفسي 38

3- علاقة الأنا مع الآخر 41

أ- الصراع الحضاري بين الشرق والغرب.....43

ب- أزمة الضياع والبحث عن الهوية 46

الفصل الثاني

السمات المميزة في روايات صنع الله إبراهيم.

1- توظيف التاريخ 53

2- الرؤية التهكمية الساخرة.....68

3- تدوين الكتابة: (الشخصية المثقفة).....74

4- المراوغة السردية للزمن التاريخي 81

5- المستويات اللغوية 82

الخاتمة.....89

قائمة المراجع.....92

الملاحق..... 101

فهرس الموضوعات 105

الملخص:

تقدم هذه الدراسة أزمة المثقف العربي كما عالجتها روايات صنع الله إبراهيم، مبينة أنماط وطروحات هذا المثقف وطبيعة الأزمات التي يعاني منها، وتضيء علاقته بالسلطة على اختلافها، كما تضيء أيضا أزمة الإغتراب وأزمة الهوية التي يرزخ تحتها لتظهر رؤيته للعلاقة مع الآخر عامة.

ثم ان هذه الدراسة تستقرؤ الروافد والرموز في الروايات لتقديم ثقافة المثقف، ونلتمس وسائل إظهار هذه الثقافة، كما قدمها "صنع الله إبراهيم"، فنجد نماذج من السخرية والتوثيق من التاريخ والتي سحبها على شخوص رواياته المثقفة، بوعي خاص –وبكل جرأة وشجاعة– لحقيقة ما يحدث من حوله.

الكلمات المفتاحية: السلطة، التاريخ، أزمة، المثقف العربي، صنع الله إبراهيم.

Summary:

This study presents the crisis of the Arabs eductated as it was dealt by sounallah Ibrahim novels, showing the patterns and thesis of this intellectual and the nature of the crises he suffers from, and illuminates his relationship with power in general, as well as illuminating the crisis of alienation and the crisis of identity under which he is languished to show his vision of the relationship with the other in general. Moreover, this study settles tributaries and symbols in novels to present the culture of the intellectual, and we seek the means to infuse this culture, as presented by "ibrahim", we find examples of ridicule and documentation of history, which he pulled on the characters of his intellectual novels, with a special awareness - boldly and courageously - the truth of what is happening around him.

***Keywords**: Authority, History, Crisis, the educated, The western، sonallah Ibrahim.*